

شرح

فضل الإسلام

للإمام الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله -

شرح وتعليق

عيسى بن سالم بن سدحان العازمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المتن

قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[المائدة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾[يونس: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الحديد: ٢٨]، وفي الصحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجلٍ استأجر أجراء، وقال: مَن يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراطٍ؟ فعملت اليهود. ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ؟ فعملت النصارى. ثم قال: مَن يعمل من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم». فغضِبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقلّ أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أُوتيه مَن أشاء.

وفيه أيضًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «أضلَّ اللهُ عن الجمعة مَن كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنَّصارى يوم الأحد، فجاء اللهُ بنا فهدانا ليوم الجمعة، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة».

وفيه تعليقًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «أحب الدِّين إلى الله الحنيفية السَّمحة» انتهى.

وعن أُبي بن كعبٍ -رضي الله عنه- قال: "عليكم بالسَّبيل والسنة، فإنه ليس مِن عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمنَ ففاضت عيناه من خشية الله فتمسّه النار، وليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله إلا كان كمثل شجرةٍ يبس ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقُها، وإنَّ اقتصادًا في سنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسنةٍ".

وعن أبي الدَّرداء -رضي الله عنه- قال: "يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟ مثقال ذرةٍ من برٍّ مع تقوى ويقينٍ أعظم وأفضل وأرجح من عبادة المغترين".

الشرح

قال المؤلف -رحمه الله-: (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ المؤلف -رحمه الله- بالبسملة لأمورٍ ثلاث:

الأمر الأول: تأسيًا بكتاب الله -سبحانه وتعالى- حيث أن الله -سبحانه وتعالى- افتتح كتابه بالبسملة، فمن سورة الفاتحة حتى سورة الناس كل سورة مبتدئة بالبسملة عدا براءة، وذلك أن الصحابة -رضي الله عنهم- لما جمعوا المصحف، أشكلت عليهم سورة براءة هل هي سورة مستقلة؟ أم هي سورة من السورة التي قبلها؟ ولذا جعلوا فاصلة ولم يجعلوا بسملة.

ثانيًا: فعل ذلك المؤلف -رحمه الله- اقتداءً بالنبي -صلى الله عليه وسلم- حيث أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يبدأ كتاباته ومراسلاته بالبسملة، ولذلك في صحيح البخاري من حديث ابن عباس أنه -عليه الصلاة والسلام- لما أرسل لهرقل قال: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم»، وأيضًا لما كان صلح الحديبية لما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يُكاتب المشركين قال لعلي -رضي الله عنه-: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم».

أيضًا فعل ذلك المؤلف -رحمه الله- لحديث: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر» يعني أقطع، ففي الحديث أنه ينبغي للإنسان أن يبتدئ كلامه أو كتاباته بالبسملة، وهذا الحديث فيه ضعف ولكن له شواهد، ولذلك ابن صلاح وغيره من العلماء رأوأن الحديث حسن بشواهده، فينبغي للإنسان أن يبتدئ كتاباته بالبسملة، وقد قيل أن الأفضل في الكتابة أن يبدأ بالبسملة، وفي إلقاء الخطب أن يبدأ بالحمد، والأمر واسع.

قال المؤلف -رحمه الله-: (وبه نستعين)، وبه الضمير هنا المتصل عائد إلى الله -سبحانه وتعالى-، يعني ابتدأنا بالاستعانة به -سبحانه وتعالى-، والاستعانة بمعنى طلب العون، والسين والتاء غالبًا تدل على الطلب وليس دائمًا بل هو في الغالب،

ولذلك الاستسقاء معناه طلب الغوث من الله سبحانه وتعالى ، استشفع واستسقى ونحو ذلك هذه الألفاظ تدل على الطلب؛ لأن فيها تاء وسين.

قال: (وبه نستعين) يعني نطلب العون فيما يريد المؤلف أن نتكلم عنه.

قال: (باب فضل الإسلام) الفضل هو المزايه، يعني مزايا الإسلام، والإسلام له معنيان: معنى عامٌ، ومعنى خاص.

أما المعنى العام فهو الاستسلام لله بالطاعة، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك، الاستسلام له فعلًا للمأمور وتركًا للمحذور في كل زمانٍ ومكان كانت الشريعة فيه قائمة، وعلى هذا التعريف أتباع الأنبياء الذين كانوا في زمن الأنبياء حين كانت شريعة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قائمة كانوا مسلمين، والدليل على ذلك: أن الله -سبحانه وتعالى- قال حكايةً عن موسى، قال: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٨٤]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣]، ويوسف -عليه السلام- قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماًوَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١] فسأل الله -عز وجل- أن يتوفاه مسلمًا.

فبهذا التعريف يكون مَن تبع كل نبي حين كانت شريعة النبي قائمة فهو مسلم، فأتباع موسى حين كانت- شريعته قائمة هم مسلمون، وأتباع عيسى حين كانت- شريعته قائمة هم مسلمون وهلمَّ جرة.

المعنى الثاني للإسلام؛ هو ما بُعِثَ به النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا المعنى الخاص للإسلام، فبعد مبعث محمد -صلى الله عليه وسلم- فلا إسلام إلا ما جاء به، وعلى هذا المعنى كل مَن لم يتبع محمد -صلى الله عليه وسلم- فليس بمسلم، حتى لو وحد الله -عز وجل-، ولو شهد أن لا إله إلا الله ولكنه لم يؤمن برسول الله فليس بمسلم، وهذا المعنى دل عليه ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أهل النار» فعلى هذا المعنى لا يصح إسلام مَن لم يؤمن برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى لو شهد أن لا إله إلا الله،

وآمن بالآخرة، وآمن بالملائكة، وآمن بما أمر الله -عز وجل- أن يؤمن به إلا الإيمان بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فليس بمسلم، هذا المعنى الخاص للإسلام، فلا يأتي يهودي أو نصراني ويقول: أنا مستسلم استسلام عام؛ أي أني مثلًا مُتبع لموسى أو مُتبع لعيسى ولا أؤمن بمحمد -عليهم الصلاة والسلام-، فهذا يُقال له: لست بمسلم، وهذا كاذب في قوله إذ لو كان مسلم لآمن بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، لأن موسى وعيسى -عليهم الصلاة والسلام- بشروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، هذا المعنى الخاص للإسلام، والمؤلف -رحمه الله- أراد هذا المعنى وهذا الذي ألَّف فيه هذا الكتاب.

والإسلام له مزايا عظيمة وفضائل كثيرة يفوق كل دين، فمن فضائل الإسلام: أنه يحث الإنسان على الاستسلام لله بالتوحيد؛ بحيث يعبد الله وحده لا شريك له، وهذه هي الفطرة التي فطر الله -عز وجل- الناس عليها، الإنسان مفطور على أنه لا إله إلا الله، ولكن هذه الفطرة قد تتغير بسبب الشياطين وبسبب الآباء الضالين فتتغير هذه الفطرة، فالأصل أن الناس خُلِقوا على الإيمان بالله -عز وجل- وأنه الرب الخالق هذا في فطرة كل إنسان لكنه قد تجتاله الشياطين، ولذلك جاء في صحيح مسلم أن الله -سبحانه وتعالى- في الحديث القدسي قال: «خلقت عبادي حنفاء»إلى أن قال: «فاجتالتهم الشياطين، فحرمت عليهم ما لم أحرم، وأحلت لهم ما لم أحل»، فالإسلام يحث الإنسان على الفطرة التي فطر الله -عز وجل- الناس عليها، فيوحد الله -عز وجل- ويكون عبد لله وحده لا شريك له.

ولذلك مَن عبد الله -عز وجل- فهو قد وضع العبادة في موضعها، وهذا يطمئن قلبه ويكون مجتمع أمره غير مُتشتت، ولذلك المُشرك مُتشتت في أمره، ضائع لا يهتدي لطريق، ولذلك الله -عز وجل- ضرب مثل في كتابه لحال الموحد ولحال المشرك، الموحد كالرجل الذي له عبد وهذا العبد يأمره السيد ويقول له: افعل كذا، فيذهب ويفعل، ويقول: افعل كذا، فيفعل، فهذا العبد مطمئن؛ لأن له سيد واحد يأمره وينهاه فيطمئن، وأما المشرك فضرب الله -عز وجل- له مثل كمثل عبد يملكه أكثر من سيد، وهذا يقول له: افعل، والآخر يقول: لا تفعل، والثالث يقول: لمَّ فعلت؟ فأصبح هذا الرجل مُتشتت، هذا كحال المشرك؛ لأن المشرك لا يهتدي، ولذلك

المشرك إذا مسه الضر ترك الإشراك بالله -عز وجل- وتوجه الى الله وحده لا شريك له، لأنه ليس له قدم ثابت، فمن فضائل الإسلام أنه يحث الإنسان أن يعبد الله -عز وجل- وحده لا شريك له، وأيضًا يضع العبادة في موضعها فيحيا سعيد ويموت سعيد ويبعث سعيد، فالإسلام يحث الإنسان على الاستسلام لله بالتوحيد، وهذا من أعظم مزايا الإسلام.

ومن فضائل الإسلام: أنه شُرِعَ فيه عبادات عظيمة فيها أجور عظيمة، فمن هذه العبادات: الصلاة، شرعت في الإسلام ، وهذه الصلاة لها مزايا عظيمة منها: أنها وصل بين العبد وربه، فمن أعظم ما يتقرب الإنسان إلى الله -عز وجل- به الصلاة، ولذلك جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» فيكون قريب من الله -عز وجل-.

ومن مزايا الصلاة: تكفير الذنوب من حين الوضوء إلى نهاية الصلاة، فمن الوضوء إذا توضأ العبد فغسل وجهه خرج كل خطيئة نظر لها بعينيه مع الماء أو مع أخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع أخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشاها رجلاه مع الماء أو مع أخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب.

وأيضًا إذا صلى فهي سبب في تكفير السيئات، ولذلك مَن حافظ على الصلوات الخمس كانت سبب في تكفير خطاياه، وقد جاء في صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أرأيتم لو كان على باب أحدكم نهر يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: كذلك الصلوات الخمس يكفر الله عز وجل بهنَّ الخطايا»، فيخرج الإنسان من الذنوب نقيًا.

وأيضًا ما يحصل في الصلاة من الألفة والاجتماع، فيأتي هذا الرجل من هذه البلاد ويأتي الآخر من البلاد الأخرى فيجتمعون ويتآلفون ويكون بينهم المحبة والمودة ويعبدون رب واحد لا شريك له، فهذا من مزايا هذه الصلاة، ولها مزايا كثيرة.

أيضًا من فضائل الإسلام: أنه شُرِعَ فيه الزكاة، وهذه الزكاة مالٌ يُخرج من مال الإنسان، وهي مفيدة للإنسان نفسه، ومفيدة للمال الذي يُخرج منه، ومفيدة للفقير أو الصنف الذي أُخرجت إليه، ففيها ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: للإنسان نفسه؛ فإذا أخرج هذا المال فإن هذا سبب في أن تزكو نفسه، فيُصبح زكيّ النفس، ولذلك إخراج الزكاة تطهير للنفس؛ لأن الإنسان كونه يُخرج هذا المال المحبوب لله -عز وجل- فإن هذا سبب لأن يُطهر نفسه، فتزكو نفسه، وقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس: ٩] يعني طهر نفسه، ومن أسباب تطهير النفس أن يُخرج الإنسان هذه الزكاة.

وأيضًا مفيدة للمال نفسه المال الذي يُخرج منه؛ فهو سبب لأن تُنزل البركة في هذا المال، فيُبارك الله -عز وجل- في هذا المال الذي أُخرجت منه الزكاة.

وأيضًا هي مفيدة للمُخرج إليه كما لو كان فقير مثلًا، فأُخرجت إليه هذه الزكاة، فكانت سبب في سد حاجة هذا الفقير، هذا من أعظم ما يكون، بين المسلمين من التكافل والتآلف ونحوذلك.

أيضًا من مزايا الإسلام: أنه شُرع فيه الصيام، وهذا الصيام مفيد؛ لأنه سبب للتقوى، ومن أسباب أن يتقي الإنسان الله -عز وجل-، ولذلك قال -سبحانه وتعالى-: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣] لما أخبر أنه أوجب الصيام، قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ومن مزايا الصيام أنه يُذكر الإنسان بالفقراء إذا حس بالجوع والعطش، وأيضًا يُذكر الإنسان بنعمة الله -عز وجل- عليه، إذا ترك الطعام يتذكر أنه كان في نعمة فيشكر الله -عز وجل-، وأيضًا من مزايا الصيام أنه تُكفر به السيئات، ولذلك جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه» فهذا من مزايا الصيام.

أيضًا من فضائل الإسلام: أنه شُرع فيه الحج، وهذا الحج له فضائل كثيرة، فمن فضائل الحج: أن المسلمين في جميع بقاع الأرض يجتمعون في مكان واحد، ويسألون إله واحد، ويتضرعون، ويلبسون لباس واحد، ويكون بينهم من الألفة والمحبة الشيء الكثير، ولذلك تراهم كأنهم رجل واحد، اللباس واحد والهيئة واحدة والتوجه إلى الله -سبحانه وتعالى-، والاتباع للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيكون بينهم

من الألفة الشيء الكثير، ويتعرف الإنسان على إخوانه المسلمين من بقاع الأرض، وأيضًا الحج فيه تذكير للإنسان بيوم القيامة، من مزايا الحج أن الإنسان يذكر إذا حُشر الناس يوم القيامة فيكون عاري، ويجتمع الناس وينضمون إلى بعض فيتذكر هذا اليوم، وأيضًا من مزايا الحج أنه سبب لتكفير السيئات، ولذلك جاء في الصحيح حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَن حج فلم يرفثولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»وقد ذهب بعض العلماء أن حتى الكبائر تُكفر إذا كان الحج مبرور، لأن في الحديث قال يرجع مثل ما ولدته أمه يعني خالي من الذنوب، فهذا من المزايا العظيمة.

وأيضًا من فضائل الإسلام: أنه شُرع فيه الحقوق، كحقوق الوالدين؛ فجعل للوالدين حق من البر والاحترام والتقدير والطاعة في غير معصية الله، فجعل لهذه الأم العجوز إذا كبرت في السن لها حقوق، ولذلك في الإسلام يجب على الإنسان أن يبر أمه، ليس للإنسان تخيير بل يجب عليه أن يبر والديه، وقد قيل أن في ديار الغرب أن المرأة إذا كبرت في السن أو أصبحت عجوز أنها تُقدم الى دار العجزة وتُترك، أما في الإسلام فإن المرأة أو الشيخ الكبير كلما كبر كلما يتأكد البر له، ولذلك جاء في الصحيح أن رجلًا قال: «يا رسول الله مَن أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أبوك»فأحق الناس بصحبة الإنسان والديه، فيجب عليه أن يبر والده ووالدته، فجعل لهم حق ولذلك الله -عز وجل- قرن حق الوالدين بحق الله -سبحانه وتعالى- ، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[الإسراء: ٢٣] فالإحسان للوالدين الله -عز وجل- أمر به.

وأيضًا من مزايا الإسلام: أنه جعل للأولاد الصغار حق، فيجب على الأب والأم رعاية هؤلاء الأولاد، ليس لإنسان خيار بل يجب عليه أن يرعى أبناءه من حيث التربية على الدين الإسلامي، على الصلاة والصوم والطاعة وإبعادهم عن المعاصي، هذا واجب على الوالدين ، ولذلك جاء في السنن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»فلهذا يجب على الوالد أو الولي إذا بلغ الابن سبع

سنين ـ أن يأمرهم بالصلاة وجوبًا، ويأثم إذا لم يفعل ذلك، ويجب عليه أن يضربه إذا بلغ العشر ليعتاد الصلاة.

أيضًا جعل لهم حقوق من حيث الطعام والكسوة والشراب في حال الصغر، ولذلك جاء في الصحيح أن النبي -صلى عليه وسلم- قال: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع عمَن يقوت أو يعول قوته»يعني يجب على الإنسان أن يُنفق على أبناءه وجوبًا.

وأيضًا من مزايا الإسلام: أنه جعل للأقارب حقوق كصلة الأرحام، فيجب على الإنسان أن يصل رحمه إذا كان له أخت أو أخ أو عم أو عمة فيجب عليه أن يصلهم ولا يقطعهم وجوبًا وليس تخييرًا، ولذلك لما خلق الله -سبحانه وتعالى- الرحم تعلقت بالعرش، وقالت: اللهم هذا مكان العائذ بك من القطيعة، قال الله -سبحانه وتعالى-: أترضين أن أصل مَن وصلكِ وأن أقطع مَن قطعكِ؟ قالت: بلى يا رب، قال: ذلك لكِ. والله -عز وجل-: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ(٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)﴾[محمد: ٢٢] فجعل للأقارب حقوق.

وأيضًا من مزايا الإسلام: أنه شُرِع فيه إكرام الضيف، إكرام الضيف واجب، ولذلك جاء في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه».

وأيضًا من مزايا الإسلام: أنه شُرِع فيه الحدود، فهذه الحدود من مزايا الإسلام؛ لأن هذه الحدود سبب في كف هذا المجرم عن إجرامه، فالزاني إذا علم أنه يُرجم إن كان مُحصن فأنه يكف عن الزنا، ويكون سبب في الكف عنه، والمجرم الذي يقتل الناس بغير حق إذا علم أنه يقتل كف عن القتل، ولذلك قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[البقرة: ١٧٩]، كيف يكون حياة وهو قتل؟ حياة من حيث الذين يعتبرون به، فإذا رأوا أن فلان قُتِل خاف المئات ، يعني هذا القاتل يُقتل ويخاف مئات الناس ما يفعلون مثل ما فعل، فيكون سبب في الحياة.

أيضًا الحدود سبب في حفظ أموال الناس، فإذا أراد الإنسان أن يأخذ من مالك خاف أن تُقطع يده فيكف عن السرقة، فيكون سبب في حفظ المال.

أيضًا الحدود سبب لئلا يقع الإنسان في عرضك؛ فإذا أراد إنسان أن يقذفك ويقول: يا كذا يا كذا من القذف خاف إذا قذفك أن يُجلد، فيخاف ويرتدع، وعلى هذا قس الحدود الكثير، فهذا من مزايا الإسلام.

ومن مزايا الإسلام: أنه شُرِع فيه العدل، والعدل هو إعطاء كل ذي حقٍ حقه، ليس العدل معناه المساواة، لا المساواة ليست عدل بل العدل هو أن يُعطى كل ذي حقٍ حقه، ولذلك أمر الله -عز وجل- بالعدل في كتابه -سبحانه وتعالى-، والعدل أن تُعطي كل ذي حقٍ حقه، فإذا كان لك ابن وبنت فتعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، لا تعطي الذكر كالأنثى، ليس المراد المساواة فلا تجعل الأنثى كالرجل، الرجل له قدرة والأنثى لها قدرة تخالف قدرة الرجل، ولذلك الله -عز وجل- جعل لكل ذي حقٍ حقه.

أيضًا من مزايا الإسلام: أنه يؤمر فيه بالإيمان بجميع الرسل، ففي الإسلام تؤمر بالإيمان بجميع الرسل.

ومزايا الإسلام كثيرة وهذا شيءٌ منها.

قال المؤلف -رحمه الله-: (وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾)مناسبة هذه الآية لما أراد المؤلف من فضل الإسلام أن الله -سبحانه وتعالى- أكمل الدين، فهذا الدين كامل، وقد أتمَّ الله -عز وجل – علينا النعمة، فهذا من أعظم فضائل الإسلام، أن النعمة قد تمت ولذلك قال: ﴿الْيَوْمَ﴾الـ هنا للعهد الحضوري، يعني هذا اليوم، ﴿أَكْمَلْتُ﴾يعني أتم الله -عز وجل- الدين، ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾يعني ما تحتاجونه من شريعة الإسلام بينه الله -عز وجل- وأتمها لنا، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾أي أن الله -سبحانه وتعالى- رضي هذا الإسلام دين نتدين به لله -عز وجل- ، ففي الآية الكريمة أن الله -سبحانه وتعالى- أكمل هذا الدين ورضيه لنا، وهذا من أعظم المزايا في الإسلام.

وهذه الآية نزلت يوم عرفة، ولذلك أحد اليهود لما نزلت هذه الآية، قال: إنه أنزل إليكم معشر المسلمين آية لو أنزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك عيدًا. قال عمر: ما هي الآية؟ فذكر هذه الآية، فقال عمر -رضي الله عنه-: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والمكان الذي أنزلت فيه، أنزلت يوم عرفة على النبي -صلى الله

عليه وسلم- يوم الجمعة في حجة الوداع. أو كما جاء في الحديث، فلذلك هذا من أعظم مزايا الإسلام.

قال المؤلف -رحمه الله-: وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾

مناسبة هذه الآية لفضل الإسلام أن هذا الدين لا شك فيه، فهو دين حق لا شك فيه ولا ريب، فهو من رب العالمين -سبحانه وتعالى-، وهذا من أعظم المزايا أن هذا الإسلام لا شك فيه بل هو حق من رب العالمين.

وأيضًا من مزاياه: أنه توجه لله وحده لا شريك له، وأيضًا أنه يُحث فيه الإنسان على أن يتوجه لله بالعبادة الذي هو يخلق ويتوفى، الذي يُحيي ويميت.

قال المؤلف -رحمه الله-:وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني قل يا محمد يا أيها الناس وهي هنا للعموم، هذا نداء يأمر الله -عز وجل- فيه نبيه -عليه الصلاة والسلام- أن يُنادي الناس، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ يعني اضطراب ﴿مِنْ دِينِي﴾ يعني من دين الإسلام﴿فَلا أَعْبُدُ﴾ هذا نفي ﴿فَلا أَعْبُدُ ﴾ يعني لا أتوجه بالعبادة ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأشجار والأوثان والملائكة والرسل وغير ذلك مما يُعبد من دون الله، ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾لأن كل ما عُبد فهو دون الله -عز وجل-، والله هو الأعلى وما سواه هو الأدنى -سبحانه وتعالى-، ولذلك قال: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾ هذا استدراك، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يعني أتوجع بعبادتي للذي يتوفاكم، وهو الله -عز وجل- يتوفى الخلق سواء كانت الوفاة الصغرى أم الوفاة الكبرى، الوفاة الصغرى هو النوم، والوفاة الكبرى هو الموت، الله -عز وجل- يتوفى العباد في هذا وهذا﴿الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

قال المؤلف -رحمه الله-: وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

مناسبة هذه الآية للباب أن الذين قبلنا إذا آمنوا بهذا الدين فإنهم يأتون أجرهم مرتين، فاليهودي أو النصراني إذا آمن بالإسلام فإنه يؤتى أجره مرتين، أجر إيمانه بالرسول الذي بعث إليه، وبالرسول الذي بعث إلى هذه الأمة وهو محمد -صلى الله

عليه وسلم-، ولذلك قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ آمنوا برسوله الذي بعث وهو محمد -صلى الله عليه وسلم-، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ يعني نصيبين﴿مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني إذا آمن أحد أهل الكتاب بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فإنه يؤجر على النبي الذي آمن به قبل والنبي الذي بعث بعد -عليهم الصلاة والسلام- جميعًا، فهذا من أعظم مزايا الإسلام.

قال المؤلف -رحمه الله-: وفي الصحيح يعني في صحيح البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مثلكم يعني معشر هذه الأمة «ومثل أهل الكتابين أهل الكتابين هم اليهود والنصارى، وسُموا بذلك لأنهم أنزلت إليهم كتب، فاليهود أُنزل إليهم التوراة، والنصارى أُنزل إليهم الإنجيل، فهم أهل كتاب.

قال:«مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجلٍ وهذا تمثيل، كمثل رجلٍ استأجر أجراء يعني مثل هذه الأمة ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء: وقال: مَن يعمل لي من غدوة إلى نصف النهاريعني من أول النهار إلى الزوال، مَن يعمل في هذا الوقت؟ على قيراطٍ؟ القيراط يعني جزء من الدينار أو نحوه فعملت اليهود. يعني عملوا من طلوع الشمس مثلًا إلى الزوال، فعملت اليهود.ثم قال هذا الرجل مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصرعلى قيراطٍ؟يعني من الزوال إلى صلاة العصرعلى قيراطٍ؟يعني على جزء من الدينار أيضًا، فعملت النصارى.ثم قال: مَن يعمل من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ يعني مَن يعمل من صلاة العصر حتى تغرب الشمس على قيراطين وليس واحد يعني جزأين وليس جزء واحد، فأنتم هم». يعني أنتم هم الآخرين، الذين تعملون من العصر إلى غروب الشمس بأجرٍ أكثر، فالوقت أقل والأجر أكثر، فهذا من أعظم مزايا الإسلام، الإسلام الذي بُعث به النبي -صلى الله عليه وسلم- من أعظم مزاياه أن الأجر مضاعف،فيه ولذلك من أعظم مزايا الإسلام أنه يؤتى الإنسان فيه أجر عظيم والعمل قليل، ولذلك جاء عند مالك بلاغًا أن الله -عز وجل- لما رأى هذه الأمة قليلة الأعمار أُعطيت ليلة القدر، فليلة واحدة كأن الإنسان عبد الله –عز وجل- في ثلاثة وثمانين سنة وزيادة ، فهذا من أعظم مزايا الإسلام أن الإنسان يعمل قليلًا ويؤجر كثيرًا، ولذلك ، الإسلام

الذي بُعث به النبي -صلى الله عليه وسلم-- أن الإنسان قد يعمل العمل القليل ويؤجر الأجر الكثير، وهذا أيضًا يشمل اليهودي والنصراني أو الكافر الذي يُسلم ويؤمن بهذا الدين، فإنه يُضاعف له الأجر، فاليهودي مثلًا لو أسلم وآمن بالإسلام الذي بُعث به النبي –صلى الله عليه وسلم- فإنه يؤتى هذا الأجر العظيم، هذا يدلك على مزية هذا الإسلام.

قال المؤلف رحمه الله-: فأنتم هم. فغضِبت اليهود يعني كيف هم أقل عمل وأقل وقت وأكثر أجرا! فغضبوا، وهل لهم حق أن يغضبوا؟ لا، ليس لهم حق؛ لأنهم ما ظُلِموا، قال: فغضِبت اليهود والنصارى أيضًا النصارى غضبوا، فاليهود والنصارى قالوا: لمَّ نحن أقل أجر وأكثر عمل؟ وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقلّ أجرًا؟قال: هل نقصتكم من حقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا. ولذلك قالوا لا، يعني هم عملوا لكن أعطوا الأجر، قال: ذلك فضلي أُوتيه مَن أشاء. فليس لكم حق أن تغضبوا؛ لأن الفضل هذا يخص الله -عز وجل- به مَن يشاء، وأما العدل فأعطى الله -عز وجل- كل ذي حقٍ حقه، وفي هذا الله –سبحانه وتعالى- يُعامل الخلق بالعدل أو الفضل، فاليهود والنصارى في هذا الحديث عُمِلوا بالعدل، وما نقصهم الله –عز وجل- شيء، فأعطاهم حقهم كامل، وأما هذه الأمة فعُمِلت بالفضل هذا مثال، فزادهم الله –عز وجل- في الأجر وقلل لهم العمل، هذا يدلك على مزايا هذا الدين العظيم، هذا الحديث فيه فوائد كثيرة.

قال: (وفيه) يعني ، في صحيح البخاري، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «أضلَّ اللهُ عن الجمعة مَن كان قبلنا.يعني أضلهم بحيث لم يعلموا متى وقتها،مَن كان قبلنافكان لليهود يوم السبت. اليهود عظموا السبت، وللنَّصارى يوم الأحد يعني عظموا الأحد، فجاء اللهُ بنا يعني معشر هذه الأمة،فهدانا ليوم الجمعة ويوم الجمعة أفضل الأيام، فمن مزايا الإسلام أن الله – سبحانه وتعالى- اختار للمسلمين الجمعة، والجمعة أفضل الأيام، أفضل أيام الاسبوع على الإطلاق الجمعة، وقد جاء في الأثر: أنه يؤتى يوم القيامة بالجمعة كأنها نور. وأيضًا جاء في الأثر وإن كان فيه ضعف: أنه يوم المزيد. بحيث أن الله –سبحانه وتعالى- يتجلى لخلقه يوم الجمعة فيرونه، فيُحاضرهم ويجتمعون اليه ويكونون في مكان فيُكلمهم الله –عز وجل- في ذلك المكان، ويتجلى لهم –سبحانه وتعالى-

فيرونه، فيُسمى يوم المزيد، وإن كان الأثر فيه مقال، ولكن يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع، هذا يدلك على مزية هذا الدين.

قال: وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة اي تبيع لنا يوم القيامة، قال: نحن الآخرون من أهل الدنيا يعني تأخرنا في الوقت بحيث أن هذه الأمة أخر الأمم، وأمة النبي –صلى الله عليه وسلم- هي أخر الأمم لا أمة بعد هذه الأمة، ما بعد أمة النبي –صلى الله عليه وسلم- أحد، إنما بعدها يوم القيامة، فهم الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامةهذا موضع الشاهد أي أنهم الأفضل، فهم يتقدمون يوم القيامة، وهذه الأمة الأول في الحساب، والأول في العبور على الصراط، والأول في دخول الجنة، ونحو ذلك مما يكون يوم القيامة، فهم الأولون ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: الأولون يوم القيامة.

قال المؤلف –رحمه الله-: (وفيه تعليقًا) يعني في البخاري تعليقًا، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «أحب الدِّين إلى الله »يعني أحب ما يتدين به العبد إلى الله –سبحانه وتعالى- الحنيفية يعني الملة الحنيفية، السَّمحة يعني السهلة، ففي هذا الحديث فوائد، منها: أن الله –سبحانه وتعالى- يُحب العمل، ومحبة الله –عز وجل- تتعلق بالعمل، وبالعامل، وبالزمان، وبالمكان، وبالقول، هذه خمسة أشياء تتعلق بها محبة الله تعالى بالعمل،فالله –عز وجل- يحب بعض الأعمال، فالصلاة مثلًا محبوبة إلى الله –سبحانه وتعالى-، وبر الوالدين محبوب إلى الله –عز وجل-، والجهاد محبوب إلى الله –سبحانه وتعالى-، ولذلك جاء في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: أنه سأل النبي –صلى الله عليه وسلم-:أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» فهذه الأعمال محبوبة إلى الله –عز وجل-، أيضًا محبة الله –عز وجل- تتعلق بالعامل، إما شخصًا وإما وصفًا، شخصًا كالرجل المَعيّن فيُحب الله –عز وجل- إنسان معين مثل: موسى وعيسى وهارون ومحمد –صلى الله عليه وسلم- وإبراهيم والأنبياء والرسل، وغيرهم من المؤمنين والصالحين، ولذلك قال الله –سبحانه وتعالى- لموسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾[طه: ٣٩]فأحبه الله –عز وجل- وحببه لخلقه، وقال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء: ١٢٥]، وقال

النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا»فتتعلق بالشخص.

أيضًا تتعلق بالوصف (وصف الشخص) قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ٧٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥]، والآيات كثيرة، فهذا الوصف فيحب الله -عز وجل- مَن اتصف بهذا الوصف.

أيضًا تتعلق بالمكان كمكة مثلًا، للذلك لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- مهاجرًا إلى المدينة التفت إلى مكة، وقال: «والله إنكِ لأحب البقاع إلى الله ولولا أن قومي أخرجوني منكِ ما خرجت»فمكة محبوبة إلى الله.

أيضًا تتعلق محبة الله -عز وجل- بالوقت والزمن، فأيام شهر ذي الحجة محبوبة إلى الله -عز وجل-، ولذلك جاء في الصحيح «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر.

وأيضًا تتعلق بالقول ففي صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»، الله -عز وجل- يحب هذا القول، وفيه دليل أيضًا لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة أن الله -عز وجل- مُتصف بأنه يُحب، والمحبة من صفات الله -عز وجل- الفعلية التي تتعلق بمشيئته -سبحانه وتعالى-، فيؤمن الإنسان أن الله -عز وجل- يُحب، بل إن هذا يحث الإنسان على الرغبة بأن الله -عز وجل- يحبه، وأسباب محبة الله -عز وجل- كثيرة ذكرها ابن القيم وغيره من العلماء.

ومن الفوائد: أن الله -عز وجل- يحب الدين السهل، الذي لا يشق الإنسان فيه على نفسه، ولا يتشدد فيه فالله تعالى يحب الدين الحنيف السمح.

قال المؤلف -رحمه الله-: (وعن أُبي بن كعبٍ -رضي الله عنه- قال: "عليكم بالسَّبيل) يعني الطريق، يعني الزموا الطريق، (والسنة) يعني سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- فتمسكوا بها، (فإنه ليس مِن عبدٍ) يعني لا يوجد عبد، (على سبيلٍ) يعني على طريق مستقيم يوصل إلى الله -عز وجل-، (وسنةٍ) يعني مُتمسك بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (ذكر الرحمنَ ففاضت عيناه) يعني ذكر الله -عز وجل-، إما ذكر عظمة الله -عز وجل-، أو خشي الله -سبحانه وتعالى-، (ففاضت عيناه) يعني

بكى، (من خشية الله) يعني من خوف الله،(فتمسّه النار) يعني لا يمكن أن تمس هذا الرجل النار الذي بكى من خشية الله، فلما ذكر عظمة الله –سبحانه وتعالى- وكبرياءه، وأن الله –سبحانه وتعالى- على كل شيءٍ قدير بكى أو خاف من عذاب الله الشديد أو طمع في جنة الله فبكى، فإن هذا لا يمكن أن تمسه النار، وقد جاء في الأثر: أنه لا تمسه النار إلا إذا عاد اللبن في الضرع. اللبن إذا خرج من الضرع لا يمكن أن يعود، كذلك هذا الرجل الذي بكى من خشية الله لا يمكن أن تمسه النار.

قال:(وليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ) يعني على طريق مستقيم وسنة مُتبع لرسول الله،(ذكر الرحمن فاقشعر جلده) اقشعرار الجلد يكون من خشية الله، إذا خشي الإنسان ربه –سبحانه وتعالى- يقشعر جلده، ولذلك قال –سبحانه وتعالى-: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[الزمر: ٢٣]، قال:(من مخافة الله إلا كان كمثل شجرةٍ يبس) يعني هذا الرجل الذي اقشعر جلده من خشية الله كالشجرة اليابسة اليابس ورقها، (فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها) أي كما أن الشجرة إذا كانت يابسة ثم ضربتها الريح تساقط هذا الورق، كذلك هذا الرجل تتساقط عنه الذنوب، قال:(إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقُها، وإنَّ اقتصادًا في سبيلٍ وسنةٍ) الاقتصاد هو الاعتدال فلا يغلو ولا يجفو، هذا هو المُقتصد، (في سبيلٍ) يعني في طريق مستقيم إلى الله، (وسنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسنةٍ) يعني الاقتصار بحيث الإنسان يكون وسط في هذا الدين لا يغلو ولا يجفو، وهو مُتبع، وهو على طريق صحيح، وأيضًا مُتبع للنبي–صلى الله عليه وسلم- هذا خير من الذي يجتهد على خلاف سبيل وسنة، كحال الخوارج نسأل الله العافية، عندهم اجتهاد عظيم ولكن على غير سبيل وسنة، ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم-عنهم: «تحقرنا صلاتكم عند صلاتهم، وصيامكم عند صيامهم» وهذا موجه للصحابة، الصحابة من أشد الناس تعبدًا، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم- «تحقرنا صلاتكم عند صلاتهم»، ومع ذلك قال: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» فالاجتهاد في غير طريق صحيح ليس بمحمود، بل الاقتصار على ما جاء في الكتاب والسنة خير من ذلك، ففي هذا دليل على أن الإسلام له مزايا عظيمة كما في هذا الأثر.

قال: (وعن أبي الدَّرداء -رضي الله عنه- قال: "يا حبذا نوم الأكياس) يعني ما أجمله وما أطيبه، (نوم الأكياس) جمع كيّس وهو الفطن، يعني ينام هذا الكيّس،(وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟) يعني هؤلاء الأكياس ينامون ويصومون ويفطرون، (كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟ مثقال ذرةٍ من برٍّ مع تقوى ويقينٍ أعظم وأفضل وأرجح من عبادة المغترين) يعني عمل قليل يُخلص الإنسان فيه لله –عز وجل- ويتبع للنبي –صلى الله عليه وسلم- ويكون على عقيدة صحيحة خير من رجل يُكثر من العبادة ولكن عنده كبر وعُجب بنفسه أو عنده بدع ونحو ذلك، هذا يدلك على مزية الإسلام أن مَن تمسك بالإسلام الذي جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم- فإنه لو كان عمله ليس بالكثير فإنه على خير عظيم.

المتن

باب وجوب الدخول في الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أخرجاه، وفي لفظ: «مَن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

وللبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى» قيل: ومن يأبى؟ قال: «مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى».

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه» رواه البخاري.

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: باب وجوب الدخول في الإسلام

مناسبة هذا الباب لكتاب فضل الإسلام؛ أن الدخول في الإسلام يجب أن يكون الإنسان مُتمسك بجميعه، بمعنى أن يدخل في جميع الإسلام، لا يأخذ شيء من الإسلام ويترك البعض، بل لا بد أن يدخل في الإسلام كله، بقلبه وقالبه، وقد أمر الله –سبحانه وتعالى- بالدخول في الإسلام بكل ما شُرِع فيه كما قال –سبحانه وتعالى-: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة: ٢٠٨] والسلم هو الإسلام، يعني جميعًا لا تتركوا شيء من الإسلام، ولذلك يجب على المسلم أن يتمسك بجميع التعاليم الإسلامية فلا يأخذ ببعض الإسلام ويترك البعض كما فعل اليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، أو غيرهم من أهل الملل بل على المسلم أن يتمسك بجميع تعاليم الإسلام من صلاة وصيام وحج وطاعة وترك معصية ونحو ذلك، وعقيدة وجميع ما أُمِرَ به في الإسلام يجب على المسلم أن يتمسك به، ولذلك قال المؤلف: وجوب الدخول في الإسلام، وهذا الدخول يشمل مَن لم يدخل في الإسلام بالكلية بحيث يجب عليه أن يدخل فيه كاليهودي مثلًا أو النصراني، يجب عليه

أن يُسلم ويدخل في الإسلام،الذي بُعِث به النبي ﷺ وجوبًا وليس اختيارًا ، بل على جميع المُكلفين من الإنس والجن، فالإنس يجب عليهم أن يدخلوا الإسلام، والجن عليهم أن يُسلموا ويدخلوا الإسلام، فعلى جميع الخلق من المُكلفين أن يدخلوا الإسلام وجوبًا، والله ﷻ أمر بذلك، أمر بالدخول في الإسلام كافةً.

الثاني من الناس: مَن هو مسلم وعلى الإسلام، فهذا يجب عليه أن يتمسك بجميع التعاليم الإسلامية، وجميع ما شُرِع في الإسلام لا يأخذ بعض الإسلام الذي يوافق هواه، ويدع الذي لا يوافق هواه، بل عليه أن يدخل في الإسلام جميعًا، والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، فإذا استسلم المسلم لله بالتوحيد فقد دخل الإسلام، الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة؛ فإذا انقاد فقد استسلم أيضًا ودخل في الإسلام، والبراءة من الشرك وأهله؛ فلا بد أن يبرأ المسلم من المشركين ومن الشرك، فيبرأ من الشرك ويبرأ من أهله، ولا بد أيضًا أن يأتي بالطاعات ويترك المعاصي، فلذلك قد يكون المسلم مسلم ولكن عنده ضعف في الإسلام، فالإسلام يشمل الأركان الخمسة ويشمل غير ذلك، والدليل: أن النبي ﷺ: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده» يعني كامل الإسلام، ولذلك الطاعات إسلام، فمَن أدى الزكاة فهو قد أتى بالإسلام، ومَن برَّ بوالديه فقد أتى بالإسلام، ومَن لم يؤذي جاره فقد أتى بالإسلام، ومَن ترك الزنا فقد أتى بالإسلام، ومَن ترك الخمر فقد أتى بالإسلام، وعلى هذا فقس بمعنى أن الإنسان إذا أتى بجميع الطاعات

وترك جميع المعاصي فإنه قد كمل إسلامه، ولذلك تجد أن الإنسان مسلم ولكن عنده ضعف في إسلامه، تجد أنه لم يتمسك بجميع ما شُرِع في الإسلام، فهذا إذا كان الذي فعله معصية فلا يخرج من الإسلام، بل يبقى في الإسلام ولكن عنده ضعف، وإذا كان الذي فعله يُنافي الإسلام فهذا خرج من الإسلام، كمَن يدعو غير الله أو يسجد لصنم فهذا نقض إسلامه، ولذلك المؤلف –رحمه الله– أتى بهذا الباب؛ ليُبين أن الواجب على المسلم أن يتمسك بجميع الإسلام، ولا يأخذ ببعض الإسلام ويترك البعض.

قال المؤلف –رحمه الله–: وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥].

في هذه الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف –رحمه الله– فيها: أن مَن تدين بدين غير دين الإسلام فإنه غير مقبول منه وهو مردود عليه في الآخرة، أيًا كان هذا الدين كا تدين بالنصرانية أو اليهودية أو المجوسية أو غير ذلك من ملل الكفر، فإن هذا الدين لن يُقبل منه وسيُرد عليه في الآخرة لأن الدين الحق المرضي عند الله –سبحانه وتعالى– هو الإسلام، والله –سبحانه وتعالى– هو الذي يشرع وهو الذي له الحكم –سبحانه وتعالى–، وهو الذي يختار من الأديان ما يشاء –سبحانه وتعالى–، وقد اختار لنفسه – دين الإسلام.

والإسلام هو ملة جميع الرسل، جميع الرسل كانوا على الإسلام، فجميع الرسل كانوا مسلمين، وكانوا على التوحيد الذي بعث الله ﷻ به جميع الرسل، والدليل على ذلك ما جاء

في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات، أبوهم واحد وأمهاتهم شتى» كما أن الرجل إذا كا له أبناء من هذه أبناء، ومن هذه أبناء فجميعهم أولاده، وجميع هؤلاء الرجال إخوة، فالأب واحد والأمهات مختلفة، فالأنبياء دينهم التوحيد بحيث أنه يوحد الله ﷻ ويُسلم له ولا يعبد معه غيره، وأما من حيث الشرائع فإن لكل أمة منهاج، فيشرع الله ﷻ لكل أمة ما يناسبهم، ما يناسب أولئك الأمة، فمن حيث الشرائع فهي مختلفة كالصلاة والصوم والحج وشرائع الإسلام، وأما من حيث التوحيد والعقيدة وأصول الإيمان فهي واحدة، جميع الرسل يؤمنون بالله واليوم الآخر والملائكة والأنبياء، ويؤمنون بالقدر خيره وشره وغير ذلك مما هو من أصول العقيدة، وأما من حيث الشرائع كم يُصلي الإنسان في اليوم أو كم شهر يصوم من السنة أو كم يُزكي من المال أو كم يحج، هذا من حيث الشرائع تختلف من أمة إلى أمة، وأكمل هذه الشرائع هي الشريعة التي بُعث بها محمد ﷺ، فما من فضيلة في شريعة كانت قبل مبعثه –عليه الصلاة والسلام– إلا جعل الله ﷻ له ما هو أكمل منها، ولذلك النبي ﷺ بُعث بأكمل الشرائع، قال –سبحانه وتعالى–: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ يعني يختار ويطلب، ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ يعني يتدين بدين غير الإسلام، ويبحث عن دين غير الإسلام، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وهنا نفي ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ يعني لن يقع القبول منه، أيًا كان هذا الدين، ﴿وَهُوَ﴾ ضمير فصل يدل على التوكيد، ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ﴾ يعني في الدارالآخرة التي

تكون بعد الدنيا، ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم؛ لأنه يصير إلى النار نسأل الله العافية، فإذا تدين بدين غير الإسلام وطلب دين غير الإسلام فإنه إلى النار.

وفي الآية الكريمة بيان أنه يجب على جميع الخلق من المُكلفين أن يدخلوا الإسلام كافة.

قال المؤلف –رحمه الله-: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩].

في هذه الآية الكريمة أيضًا أن الدين المرضي عند الله –سبحانه وتعالى- هو دين الإسلام، فلا دين مرضي عند الله –سبحانه وتعالى- إلا الإسلام، فمَن بحث أو طلب دين أو تدين بغير دين الإسلام فإنه خاسر في الآخرة، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ يعني الدين المرضي الصحيح، ﴿عِنْدَ الْإِسْلَامُ اللَّهِ ﴾ يعني عند الله –سبحانه وتعالى- وهو الإله الحق لا إله إلا هو، وهو الذي يُجازي الخلق والأفضل أن يكون على الدين الكامل بحيث يدخل في الإسلام جميعًا، وإن كان على الإسلام وعند التقصير فهو على الإسلام، ولكن الأفضل أن يأتي بجميع الدين.

وفي هذه الآية الكريمة بيان أن مَن تدين بغير دين الإسلام فهو على دينٍ باطل، وعلى هذا مَن اعتقد أن الأديان ثلاثة مثلًا اليهودية والنصرانية والإسلام وقال هذه كلها أديان صحيحة، فيقال له هذا كلام باطل؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- أبطله بهذه الآية الكريمة،

الله ﷻ خص الإسلام من الأديان، فاليهودية والنصرانية أديان باطلة في وقتنا الحالي، لأمور:

أولًا: لأنهم بدلوا وغيروا، فهم ليسوا على الدين الذي كان عليه موسى وعيسى –عليهم السلام–، فهم قد بدلوا وغيروا، ولذلك عيسى –عليه السلام– وموسى أمروا باتباع النبي ﷺ، وقد أمر موسى باتباع النبي ﷺ، وأمر عيسى باتباع النبي ﷺ، قال الله –سبحانه وتعالى– عن عيسى –عليه الصلاة والسلام–: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[الصف: ٦] وهذا موضع الشاهد، بشر بالنبي ﷺ، ومعنى ذلك أنه يجب عليكم أن تؤمنوا به يا بني إسرائيل.

وأيضًا لأن اليهودية والنصرانية قد نُسخت، فبعد مبعث النبي ﷺ نُسخت الأديان التي قبله حتى لو كانت صحيحة قد نُسخت، فلا بد أن يعتقد المسلم اعتقادًا جازمًا أنه لا دين حق إلا الإسلام وما سواه من الأديان باطلة أيًا كان هذا الدين فهو باطل؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– خص الإسلام وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ دون غيره، فلا بد أن يعتقد اعتقاد جازم، وأيضًا إذا عرف أن الإسلام هو الحق فعليه أن يلتزم به، وعليه أن يدخل في الإسلام ويحذر من جميع الأديان التي تخالفه.

قال المؤلف –رحمه الله–: وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣]. قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

في هذه الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف –رحمه الله– فيها:

أن طريق الله ﷻ الموصل إليه طريق واحد، ليس متعدد بل هو طريق واحد وهو الإسلام.

وأن الطرق التي تُبعد عن الله ﷻ كثيرة كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية وغير ذلك، فالأديان التي تُبعد عن الله ﷻ كثيرة ولكنها مُبعدة عن الله ﷻ، والدين الموصل إليه واحد وهو الإسلام، ولذلك قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ الصراط في اللغة: هو الطريق الواسع، والمراد هنا أي الطريق الموصل إلى الله ﷻ، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ يعني مُعتدل لا اعوجاج فيه؛ لأنه حق وأتى من الله –سبحانه وتعالى– فهو طريق مستقيم معتدل بين الغلو والجفاء، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ هذا أمر من الله –سبحانه وتعالى– أن يُتبع هذا الصراط، وأضاف الله ﷻ الصراط إليه اضافة تشريف، وإضافة وضع، أي أن الله ﷻ هو الذي وضع هذا الصراط.

– فلا شك أنه حق، وأنه دينٌ صحيحٌ صواب؛ لأن الذي وضعه هو الله –سبحانه وتعالى–.

قال: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني اقتفوا هذا الأثر وأقيموا على هذا الدين وادخلوا فيه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ هذا نهي من الله –سبحانه وتعالى-، اللام هنا نهي، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ يعني لا تقصدوا ولا تسلكوا، ﴿السُّبُلَ﴾ يعني الطرق، كاليهودية والنصرانية والوثنية لا تسلكوها، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يعني فتذهب بكم عن طريق الله ﷻ، وقال بعض العلماء كما قال مجاهد –رحمه الله- أن هذه الآية فيها الأمر بالتمسك بالسنة، والحذر من البدع والشبهات التي تصرف عن السنة، ولا شك أن الآية تشمل هذا وهذا، ولذلك على الإنسان أن يتمسك بسنة النبي ﷺ ويحذر من البدع والشبهات؛ لأن البدع تُبعد عن الله ﷻ.

وفي الآية الكريمة أن طريق الله ﷻ واحد ليس بمتعدد، فالإسلاذم دينٌ واحد وأما الطرق فهي كثيرة، ولذلك ذكر الله –سبحانه وتعالى- أنها كثيرة قال أنها سُبل، يعني طرق كثيرة ولكنها تهوي بالإنسان إلى الهلاك وتبعده عن الطريق القويم، وتهوي به في مكانٍ سحيق، فمَن مات على دين غير الإسلام فقد هلك هلاك لا نجاة بعده، ومَن مات على الإسلام فهو على خير عظيم وإن كان مُقصر، وإن كان عنده شيء من التقصير فقد مات على فضل عظيم لأنه مات على الدين الذي وضعه الله ﷻ حتى لو كان مُقصر.

قال مجاهد: السبل (الطرق) هي البدع والشبهات.

البدع يعني التي اخترعها الناس في شرع الله ﷻ يتعبدون بها لله وليست من دين الله في شيء، قال: والشبهات، جمع شبهة، والشبهة هي اختلاط الحق بالباطل، بحيث أن يكون

هذا الشيء فيه نوع من الحق ولكنه يشوبه الباطل هذا شبهة ولذلك أصحاب الشبهات والبدع لا يتركون الحق بالكلية إلا بعضهم، ولكن يكون عندهم شيء من الحق ويخلطون به الباطل، فمثلًا الآن عندك الخوارج، الخوارج عندهم تعبد واجتهاد وطاعة لله وصدق في الخبر، ولذلك العلماء كانوا يأخذون الحديث من الخوارج لأنهم لا يكذبون، يرون أن الكذب كفر، فتجد أنهم من أصدق الناس، وأيضًا يتعبدون لله عندهم عبادة عظيمة، ولذلك قال النبي ﷺ للصحابة وهم من أعظم الناس عبادة قال: «تحقرون صلاتكم عند صلاتهم، وصيامكم عند صيامهم» ومع ذلك خلطوا ذلك بالباطل، خرجوا على المسلمين يقتلونهم،ويكفرونهم وخرجوا على أئمة المسلمين ينازعونهم السلطة وهكذا فخلطوه الحق بالباطل، ولذلك الشبهة خطيرة.

قال المؤلف –رحمه الله–: وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

في هذا الحديث أن مَن ابتدع في الإسلام بدعة ونسبها للدين فهي مردودة عليه، فالإسلام هو الاستسلام لله بما شرعه –سبحانه وتعالى– وليس بما ابتدعه الناس، فإذا ابتدع الإنسان بدعة ونسبها للشرع فهي مردودة عليه، ولا يؤجر عليها بل يأثم، قال: وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ قال: «مَن» مَن شرطية، «أحدث» يعني اخترع وأنشأ، «في أمرنا» يعني في ديننا وهو الإسلام، «هذا» يعني الذي نحن عليه،

«ما ليس منه» يعني ليس منسوبًا إليه لأنه ابتدعه من عند نفسه، «فهو رد» يعني مردود عليه، فالمبتدع مردود عليه بدعته، فلا يُتعب نفسه؛ لأن الإنسان إذا ابتدع بدعة وتعبد لله ﷻ بها فإنه يُتعب نفسه فيما لا فائدة فيه، فأهل البدع –نسأل الله العافية– قد يتعبون ويكدحون في هذه البدعة ولكنها مردودة لا أجر بل قد يأثم الإنسان عليها.

قال: وفي لفظ: «مَن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

في هذا اللفظ «مَن عمل» العمل يشمل مَن ابتدع البدعة بنفسه، ومَن تبع فيها غيره فهي أشمل ، فلو أن شخصا عمل بدعة فهي مردودة عليه حتى ولو لم يبتدعها هو بنفسه، ولذلك قال: «مَن عمل عملا ليس عليه أمرنا» يعني ليس عليه ديننا «فهو رد» يعني مردود عليه بلا توقف، فلا يشغل نفسه بهذه البدعة لأنها مردودة.

قال: وللبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى» قيل: ومن يأبى؟ قال: «مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى».

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف –رحمه الله– فيه أن مَن تبع النبي ﷺ وتابعه وأتى بالأوامر التي أمر بها وانتهى عن النواهي التي نهى عنها فإنه يدخل الجنة، وهذا يدلك على أن الذي يتمسك بالإسلام ولا يخرم منه شيء فإنه من أهل الجنة، لأن النبي ﷺ قال: «دخل الجنة».

قال: وللبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي» الأمة هنا أمة الإجابة أو الأمة التي بُعث إليها النبي ﷺ وذلك أن الأمة بالنسبة للنبي ﷺ تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمة دعوة؛ وهذا يشمل جميع مَن بُعث فيهم النبي ﷺ من اليهود والنصارى والمشركين وغير ذلك، فيشمل مَن وجهت إليهم الدعوة.

الثاني: أمة إجابة؛ وهم الذين استجابوا للنبي ﷺ وآمنوا به، كما في قوله ﷺ: «إن أمتي يُبعثون يوم القيامة غرًا مُحجلين» فهذا المراد به أمة الإجابة يعني الذين استجابوا للنبي ﷺ، قال: «كل أمتي يدخلون الجنة» يعني يصيرون إلى الجنة «إلا مَن أبى»يعني امتنع، قيل: ومن يأبى؟ سأل الصحابة: كيف هذا الإنسان يأبى الجنة؟ وما أحد يأبى الجنة، فبيّن النبي ﷺ كيف يكون قد أبى الجنة، قال: «مَن أطاعني» يعني مَن أطاع أمر، والطاعة هي موافقة المراد فعلًا للمأمور واجتنابًا للمحذور، فمَن أطاع النبي ﷺ بكل ما أتى به فإنه يصير إلى الجنة، قال: «مَن أطاعني دخل الجنة» يعني صار إلى الجنة، وكانت نهايته إلى الجنة، «ومَن عصاني فقد أبى» يعني امتنع، وهنا إذا كانت أمة الدعوة فمَن عصاه في أمر التوحيد بحيث امتنع عن الدخول في الإسلام فإن هذا إلى النار خالدًا مُخلدًا فيها إلى ما لا نهاية، ومَن عصاه في الطاعة دون الشرك بحيث ترك المأمور الواجب عليه أو فعل المحذور المحرم عليه فإنه قد يدخل النار إذا لم يعفو الله ﷻ عنه

ويتجاوز عنه، ولكن لا يخلد في النار وإنما يمكث فيها إلى ما شاء الله ﷻ ثم يخرج إلى الجنة، هذا إذا لم يتجاوز الله ﷻ عنه، ولذلك يحذر الإنسان من المعاصي؛ لأنه ثبت في الأحاديث الصحيحة أن من المسلمين ومن هوعلى التوحيد مَن يدخل النار، بل ثبت أنه من المصلين ومن الذين يحجون مَن يدخل النار، ثبت هذا كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «أن المؤمنين يقولون يوم القيامة: يا ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويحجون معنا، ويصومون معنا، قال: فيقول الله ﷻ: اذهبوا إلى النار فأخرجوا مَن كان فيها في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وفي حديث أبي هريرة قال: «فيعرفونهم بآثار السجود» فدل على أن من الناس مَن يُصلي ويُطيع لكنه يدخل النار –نسأل الله العافية– بسبب الذنوب، فعلى الإنسان أن يحذر ويكون على حذر.

قال: وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه» رواه البخاري.

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف فيه أن الله ﷻ يُبغض ويشتد بغض الله ﷻ لأنواع من الناس من الذين يفعلون المعاصي، وهذا فيه دليل على أن المعاصي قد توقع الإنسان في أن الله ﷻ يبغضه بسبب هذه المعصية، قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة» يعني ثلاثة أصناف وليس ثلاثة أشخاص وإنما مَن اتصف بهذا الوصف فقد وقع في هذا الشيء، قال:

«ملحد في الحرم» الإلحاد في اللغة هو الميل، الملحد في الحرم هو الذي يفعل المعصية في حرم الله بحيث يعصي الله –سبحانه وتعالى– في الحرم، ولذلك جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: إن الرجل لو كان باليمن ووقع في قلبه أن يعصي الله في الحرم لعُذِب وهو في هذا المكان. فكيف بالذي يعصي وهو في الحرم؟ –نسأل الله العافية– يعصي وهو في حرم الله –سبحانه وتعالى–، هذا من أبغض الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–.

قال: «ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية» يعني يبتغي يطلب في الإسلام سنة الجاهلية، كأن يفعل مثل أفعال أهل الجاهلية كالطعن في الأنساب، أو النياحة على الميت، أو يقع أيضًا فيما يُشبه أهل الجاهلية.

قال: «ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه» أي أنه يتتبع مسلم ليقتله بغير حق، لأجل عصبية أو لأجل أنه حسده أو لأجل أنه فعل معه ما لا يسوغ له قتله، فهذا من أبغض الناس إلى الله ﷻ، وقتل النفس المسلمة من أعظم الجرائم، وأعظم الموبقات، قال الشافعي –رحمه الله–: وجدنا أعظم الذنوب بعد الشرك قتل المرء المسلم. والقتل ليس بالأمر الهيّن، قتل المسلم بغير حق ليس بالأمر الهيّن، ولذلك جاء في الصحيحين: «أن أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» وجاء في حديث أبي هريرة أن المقتول يأتي يوم القيامة ورأسه في يده ودمه يشخب، فيقول: يا رب سل هذا فيما قتلني، وقد أمسك بهذا القاتل، وقد جاء في الأثر أن زوال الدنيا أهون عند الله –سبحانه وتعالى– من قتل امرئ

مسلم بغير حق، ولكن يقول في الحديث «بغير حق» فقد يُقتل الإنسان وإن كان مسلم ولكن بحق كما لو قتل مسلمًا أخر فإنه يُقتل به، أو زنى بعد إحصان فإنه يُرجم حتى يموت، أو ارتد عن الإسلام فإنه يُقتل، أو خرج على المسلمين يقاتلهم وينابذ الأمام فإنه يُقتل، فإن كان بحق قُتلٍ ، ولكن إذا قُتل بغير حق أو بما لا يسوغ قتله فإن هذا من أعظم الذنوب.

ففيه أن المعاصي لا يجوز أن تُفعل، وأن الإنسان عليه أن يتمسك بالدين، فيتمسك بجميع تعاليم الدين، والله ﷻ أمر باتقاءه في الحرم، أمر بتعظيم شعائره –سبحانه وتعالى–، وأمر أيضًا بالحذر من ابتغاء سنن الجاهلية، وأيضًا حذر –سبحانه وتعالى– من القتل، فيجب أن يتمسك الإنسان بجميع تعاليم الدين.

المتن

قال ابن تيمية: قوله: (سنة جاهلية) يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي في شخص دون شخص كتابية أو وثنية أو غيرهما، من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.

وفي الصحيح عن حذيفة ﷺ قال: "يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا, فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا".

وعن محمد بن وضاح أنه كان يدخل المسجد، فيقف على الحِلق فيقول: فذكره، وقال أنبأنا ابن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام،

ولا أمير خير من أمير لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور، بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم.

الشرح

(قال المؤلف –رحمه الله–: قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: قوله: (سنة جاهلية) يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة).

كما تقدم، سنة الجاهلية.

(جاهلية مطلقة أو مقيدة أي في شخص دون شخص كتابية أو وثنية أو غيرهما، من كل مخالفة لما جاء به المرسلون).

ذكر المؤلف –رحمه الله– كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في سنة الجاهلية، فقال شيخ الإسلام: أنها تدخل فيها الجاهلية المطلقة والجاهلية المقيدة، والجاهلية هي نسبة إلى الجهل أي عدم العلم، والجاهلية من حيث هي هي تنقسم إلى قسمين:

الأول: جاهلية مطلقة؛ في الزمان والمكان والأشخاص والاتباع، وهذه كانت قبل مبعث النبي ﷺ، فقد بعث النبي ﷺ وكان فيه جهل جاهلية مطلقة في الزمان والمكان والأشخاص والاتباع، فهم كانوا في جهل حتى أن الله –سبحانه وتعالى– أخرجهم بهذا النبي من هذا الجهل.

القسم الثاني من أنواع الجاهلية: الجاهلية المقيدة؛ وهذه قد توجد بعد مبعث النبي ﷺ، أما الجاهلية العامة فقد انتهت بمبعث النبي ﷺ فلا توجد جاهلية عامة، وأما الجاهلية المقيدة فقد توجد في شخص دون شخص، وفي مكان دون مكان، أو في شخص من جانب دون جانب أو في بلاد دون بلاد وهكذا، فقد توجد في بلد كبلاد الكفر، بلاد الكفر الآن فيها جاهلية، وقد تكون في شخص كالكافر، الكافر جاهل الآن، الكافر والمشرك جاهل، وقد تكون في بعض بلاد المسلمين جاهلية نوع من الجهل، ولكن لا تكون مطلقة، وقد يكون عند بعض المسلمين صفات جهل، فيكون جاهل من جهة دون جهة، فيكون عنده علم من جهة وفيه جهل من جهة أخرى، كالذي يطعن في الأنساب أو ينوح على الميت أو يستسقي بالنجوم وينسب إليها الحوادث، هذا عنده جهل وإن كان على الإسلام ولا يلزم منها الخروج إلى الكفر؛ لأن هذه الجاهلية مقيدة، ولذلك قال شيخ الإسلام: (وغيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون) إذا خالف الإنسان بل إن الإنسان الذي يفعل المعصية وإن كان من أعلم الناس فإنه جاهل، فالإنسان إذا عصى الله ﷻ وإن كان من أعلم الناس فإنه جاهل، فمثلًا الإنسان الآن يعرف أن مثلًا الزنا حرام ثم يزني، هذا جاهل؛ لأنه في هذه الحالة ينسى ما يترتب على هذه المعصية، ولو قدم العقل لما غلبت عليه شهوته، ولذلك قال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[النساء: ١٧] نُقل الإجماع أن الجهالة هنا هي المعصية لا أن الإنسان يفعل المعصية وهو جاهل، لأنه

إذا فعل المعصية وهو جاهل فإنه لا ذنب عليه، فمثلًا الإنسان يفعل معصية وهو يجهل أنها معصية كالكافر مثلًا إذا دخل الإسلام ثم شرب من الخمر وهو يجهل أنه محرم، هذا لا إثم عليه، فالمراد بالآية الكريمة أن الذي يعصي لأنه يجهل ما يترتب على هذه المعصية، ولو علم ما يترتب عليها لما عصى.

قال: (وفي الصحيح عن حذيفة ﷺ قال: "يا معشر القراء استقيموا، فإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا, فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا").

في هذا الأثر الذي ذكره المؤلف عن حذيفة الصحابي ﷺ أنه قال: (يا معشر القراء) القراء في عرف السلف يعني الذين عندهم فقه، يعني يا معشر أهل العلم، (استقيموا) يعني استقيموا على دين الله وتمسكوا به، (فإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا) فإذا استقام العالم على دين الله فقد سبق سبقًا عظيمًا، ولذلك عند قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح: ٤] قال شيخ الإسلام: أن مَن تمسك بدين الله واتبع النبي ﷺ فإن الله ﷻ يرفع ذكره، فيكون له من هذا الرفعة في الذكر بحسب تمسكه، يقول حذيفة ﷺ إذا تمسك العالم واستقام على دين الله فإنه يسبق سبقًا بعيدًا.

قال: (فإن أخذتم يمينًا وشمالًا) يعني اتبعتم الأهواء إما شهوات وإما شبهات، (لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا) يعني تهتم عن الطريق تيهًا عظيمًا.

ففيه هذا الأثر أن الإنسان عليه أن يتمسك بجميع الدين ويدخل فيه جميعًا فلا يترك شيئًا من أحكام الدين إلا تمسك بها أشد التمسك بل إن الإنسان عليه أن يتمسك بجميع تعاليم الدين، بل إنه عليه أن يحرص على السنن، ويحذر من المكروهات، فلا يتساهل بشيء من دين الله ﷻ فضلًا عن الواجب والمحرم، فالواجب يجب أن يتركه، والمحرم يجب أن ينتهي عنه ويبتعد.

قال المؤلف –رحمه الله–: (وعن محمد بن وضاح أنه كان يدخل المسجد، فيقف على الحِلق) الحِلق يعني أن يكون أناس مستديرون في مكان مثل الدائرة، يكونون دائرة مقبلة وجوههم إلى بعض لأجل العلم ونحو ذلك.

(فيقول: فذكره) يعني ذكر الأثر.

(وقال أنبأنا ابن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: (ليس عام إلا والذي بعده أشر منه) في هذا الأثر الذي ذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه يقول: (ليس عام إلا والذي بعده أشر منه)أي أن كل ما يمضي على الناس مدة ويبتعدون عن آثار السنة فإنه يكثر الشر ولذلك قال النبي ﷺ: «أفضل الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» فكل ما يمضي الوقت ويبتعد الناس عن الرسالة يكثر الشر.

قال: (لا أقول عام أمطر من عام) يعني لا أعني هذا الشيء، أن عام يكون أفضل في المطر دون عام، (ولا عام أخصب من عام) أيضًا لا أقول هذا العام أكثر من حيث ما يخرج في الأرض من نبات عن العام الآخر، ما أعني هذا،(ولا أمير خير من أمير) يعني ما أعني الأمراء، أنه يأتي أمير خير من الأمير الذي قبله، ما أعني هذا الشيء،(لكن ذهاب علمائكم وخياركم) إذا ذهب العلماء وذهب الخيار فإنه ينتشر الشر، قال:(ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم) يعني أهل البدع، لأن أهل البدع يقدمون العقل على النقل فهم يقيسون الأمور، فإذا وافق الشرع العقل قبلوا، وإذا خالف ردوا الشرع، هذا هو القياس الفاسد، (أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم) يعني يكسر ويُحطم بسبب آرائهم الباطلة التي خالفت الشرع.

وفيه أنه يُحذر من أهل البدع والشبهات، وفيه في هذا الأثر أنه يجب التمسك بالدين الذي جاء به النبي ﷺ من غير إفراط ولا تفريط، والإنسان عليه أن يتمسك بدين الإسلام من غير أن يُفرط فيغلو في دين الله، ومن غير، إفراط فلا يغلو في دين الله، ويتشدد في الدين، وأيضًا من غير جفاء فلا يتساهل في الدين ويقترف المعاصي ويفعل الذنوب، ويظن أنه على الدين الإسلامي الكامل، بل يُحذر من هذا ومن هذا؛ لأن الإنسان عليه أن يعتدل على الدين الذي بُعث به النبي ﷺ فلا إفراط ولا تفريط، إفراط بحيث يزيغ ويخرج عن الدين السمح إلى التشدد، والمراد بالتشدد أن يكفر المسلمسن، ويرى أن مَن شرب الخمر

كفر، وأن مَن قتل النفس كفر، وأنه يجب الخروج على الأئمة الظلمة أو نحو ذلك، فيغلو وأيضًا يُشدد على نفسه حتى يخرج إلى التشدد، فهذا يُحذر منه، وأيضًا لا يتساهل بحيث يفعل المعاصي، يشرب الخمر ويزني ويقول الإسلام دين يسر، وأن هذا الدين ميسر، ويعق بوالديه ويغتاب الناس ويكذب ويأكل الأموال بالباطل ويسرق ويقول هذا الدين سمح، الله ﷻ غفور رحيم هذه الكلمة كلمة حق أريد بها باطل، فمن حيث أن الله عفور رحيم فهذه حق، بل إنه –سبحانه وتعالى– يغفر الذنب مها عظم ومهما كثر، وأما من حيث أنه أريد بها باطل لأنه جعلها مسوغ له لفعله القبيح، فيعصي ويريد أن يغفر الله ﷻ له، بل إن هذا الرجل الذي يقول هذا الكلام ويفعل هذا الفعل إنه مسيء الظن بالله، قد أساء الظن بالله؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– أخبرنا أنه شديد العقاب، وأخبرنا أنه قد يأخذ بالذنوب فلا بد أن يكون الإنسان حذر يحذر من الذنوب ولا يعصي، مهما صغر الذنب فلا تستصغره، ولذلك كان السلف يقولون: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظيم مَن عصيت. وكان أنس ﵁ يقول: إنكم تفعلون أفعال ترونها يسيرة، كنا نراها في عهد النبي ﷺ من الموبقات. وقال العلماء أن المنافق إذا فعل معصية كذبابة كانت على أنفه فقال بها هكذا، وأن المؤمن إذا فعل معصية كانت كالجبل يخاف أن تسقط عليه.

فالمراد أن يكون الإنسان متمسك بهذا الدين؛ لأنه إذا تمسك بهذا الدين فاز في الدنيا والآخرة، فيعيش في الدنيا على الطمأنينة، والدين السمح الميسر، وفي الآخرة يفوز بجنة الله ﷻ وبرضوانه.

المتن

باب تفسير الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[آل عمران:٢٠] الآية.

وفي الصحيح عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺقال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

وفيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده».

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: (أنه سأل رسول الله ﷺعن الإسلام؟ فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة)»رواه أحمد.

وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه: أنه سأل رسول الله ﷺما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت».

الشرح

قال المؤلف ــرحمه الله-: باب تفسير الإسلام

التفسير لغةً هو الكشف عن المُغطى، والإسلام لغةً هو الانقياد، وأما شرعًا فهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا معنى الإسلام في الشرع أن المسلم يستسلم لله ﷻ بالتوحيد بحيث يُسلّم ويوحد الله ﷻ بربوبيته وألوهيته وأيضًا أسماءه وصفاته، وينقاد بالطاعة، ويبرأ من الشرك بحيث

ما يفعل الشرك ولا يرضاه ويبغضه فيبرأ منه، هذا كله داخل في البراءة من الشرك وأهله، أيضًا يبرأ من المشركين ويبغضهم في الله؛ لأنهم أعداء الله –سبحانه وتعالى-.

فمناسبة هذا الباب أن المؤلف –رحمه الله- أراد أن يُبين فيه معنى الإسلام، يعني ما هو معنى الإسلام الذي بعث الله ﷻ به رسله؟ فأتى بهذا الباب.

قال: وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[آل عمران:٢٠] الآية.

هذه الآية الكريمة فيها: أن الله –سبحانه وتعالى- قال لرسوله وهو للنبي ﷺ ولأمته تبعًا: إن آتاك أهل الكتاب فحاجوك يعني جادلوك في الإسلام، وجادلوك في أمور مُسلّم لها ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ يعني قل انقدت لله، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ يعني وأتباعي أيضًا انقادوا لله –سبحانه وتعالى-، ففي الآية الكريمة فيها معنى الإسلام وهي الاستسلام لله –سبحانه وتعالى- بالتوحيد.

قال المؤلف –رحمه الله-: وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ يعني هذا الخطاب موجه للنبي ﷺ، ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ يعني إن جادلوك، ذلك لأن أهل الكتاب أتوا إلى النبي ﷺ يريدون جداله ، ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ يأمر الله ﷻ نبيه إن جادلوه ﴿فَقُلْ﴾يعني فقل يا محمد ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ يعني انقدت لله واستسلمت له –سبحانه وتعالى- بالتوحيد، وانقدت له بالطاعة ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ يعني توجهت إلى الله ﷻ بالتوحيد، ﴿لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ يعني وأتباعي أيضًا استسلموا لله ﷻ بالتوحيد وتوجهوا إليه، فهذا معنى الإسلام أنه يستسلم الإنسان لله ﷻ بالتوحيد، وينقاد له بالطاعة، ويبرأ من الشرك وأهله.

قال المؤلف –رحمه الله-: وفي الصحيح (يعني في صحيح مسلم) عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺقال: «الإسلام».

في هذا الحديث لما أتى جبريل ﵇ في صورة رجل للنبي ﷺ فقال جبريل: ما الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله» يعني تُقرّ بقلبه ناطقًا بلسانك أن لا إله إلا الله؛ أي لا معبود بحق إلا الله، «وأن»وأيضًا تشهد « وأن محمداً

رسول الله» فلا بد إذا شهد الإنسان أن لا إله إلا الله لا بد أن يقرن معها أن محمدًا رسول الله، فإذا قال: لا إله إلا الله ومحمد ليس برسول لله، هذا ليس بمسلم بل هو إن كان على الإسلام فقد نقضه، وإن كان لم يدخل الإسلام فلا يدخله بهذا اللفظ، فلا بد أن يقرن أن محمدًا رسول الله، يعني يُقرّ بقلبه ناطقًا بلسانه أن محمدًا مرسل من الله ﷻ، والرسول هو مَن بُعِث برسالة، والرسول مُشعر بأمور ثلاثة:

الأول: أن له مُرسل، الرسول يأتي من مُرسِل وهو الله –سبحانه وتعالى-، الذي أرسل النبي ﷺ هو الله –سبحانه وتعالى-.

الثاني: أيضًا يُشعر بأن معه رسالة يريد أن يُبلغ هذه الرسالة، فلا بد أن تؤمن به حتى تقبل الرسالة التي معه.

الثالث: أيضًا يشمل أنه مُرسَل.

فلا بد أن تؤمن بذلك كله.

قال: «وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة» يعني تأتي بالصلاة قائمة بشروطها وواجباتها وأركانها، وإقامة الشيء زائد على معنى الإتيان به، فإقامة الصلاة أن يأتي بها الإنسان قائمة معتدلة على وفق ما شرع الله ﷻ، ولذلك قال: «وتقيم الصلاة» ومنه: إقامة السهم؛ يعني يعدل الإنسان السهم، فإقامة الشيء أن تأتي به قائم، قال: «وتؤتي الزكاة» يعني تؤدي الزكاة لمستحقيها، الزكاة المفروضة التي فرضها الله ﷻ في المال المخصوص للطائفة المخصوصة في زمانٍ مخصوص تؤدى، «وتصوم رمضان» يعني تُمسك عن المفطرات في نهار رمضان، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس مع النية، فتصوم هذا الشهر الذي افترضه الله ﷻ، «وتحج البيت» يعني تقصد مكة لأداء مناسك الحج في أشهر الحج، «إن استطعت إليه سبيلاً» هذا تقييد، هذا مقيد للحج، فالحج مقيد لا يجب إلا مع الاستطاعة، ولذلك قال: «إن استطعت إليه سبيلاً» يعني إن قدرت أن تصل إليه، والاستطاعة تشمل الزاد والراحلة، إذا ملك الإنسان زاد وراحلة فإنه عليه أن يحج، ومَن كان قريب من مكة ويستطيع أن يصل بلا حاجة لراحلة فإنه يجب عليه، فأهل مكة مثلًا يجب عليهم الحج وإن لم يجدوا راحلة؛ لأنهم في مكة، فإذا وجد الزاد الذي يكفيه أيام الحج فيجب عليه الحج، وأيضًا الذين لا يحتاجون إلى الراحلة.

ففي هذا الحديث بين النبي ﷺ معنى الإسلام، فما معنى الإسلام؟ هو هذه الأركان، وهذه تسمى أركان الإسلام، وهذه منها ما يُخرج من الإسلام إذا تركها الإنسان كالشهادتين، إذا ترك الشهادتان فإن الإسلام لا يصح، وإن كان مسلم فإنه ينتقض إسلامه، والصلاة أيضًا، الصلاة على الصحيح أنه إذا تركها بحيث أنه لا يصلي مطلقاً ولو كان تكاسلًا فإن إسلامه ينتقض، هذا هو الأقرب والله أعلم، لأن الأدلة واضحة، ولذلك ابن عثيمين –رحمه الله- لما بحث هذه المسألة قال: إنها عندي أبين من عين الشمس. يعني أن تارك الصلاة يكفر، يقول الشيخ –رحمه الله-: أن أدلة الذين قالوا لا يكفر، إما عامة، وإما يدخلها التخصيص.

فالأقرب أن الإنسان إذا ترك الصلاة بحيث ما يُصلي فإن هذا يخرج من الإسلام، فإذا مات فلا يُدفن مع المسلمين ولا تؤكل ذبيحته، وإذا كان عنده زوجة فيبطل نكاحها بحيث إذا ثبت أن الإنسان لا يُصلي بالكلية، ما يُصلي أي صلاة فإن الإسلام ينتقض، وأما باقي الأركان فالأقرب والله أعلم أنه إذا تركها تكاسلًا مع الإقرار بأنها واجبة فإنه قد فعل فعل عظيم وجُرم كبير ولكنه ما ينتقض إسلامه، هذا الأقرب والله أعلم، وإن كان من العلماء مَن قال أنه إذا ترك شيء من هذه الأركان كفر؛ لأنها أركان الإسلام، والركن إذا سقط سقط الشيء، ولكن الأقرب والله أعلم أنه إذا ترك هذه شي من الأركان تكاسلًا يعني مثل ترك الزكاة أوالصوم أوالحج تكاسلًا فإنه لا يكفر، ولكنه فعل فعل عظيم، ولذلك ابن القيم –رحمه الله- يقول: أن مَن ترك صلاة متعمدًا أنه أعظم من الذي يزني، وأعظم من الذي يشرب الخمر، بل إنه قال أعظم من القتل فبعض الناس يتساهل في ترك الصلاة ولا يعلم أنه فعل جرم عظيم، المسألة ليست بالهينة، إذا ترك الإنسان صلاة الفجر مثلًا فإنه فعل جرم عظيم بل بن باز قال: مَن تركها متعمدًا كفر وهذا قول بعض العلماء، قالوا إذا ترك صلاة واحدة متعمدًا فإنه يخرج من الإسلام، فلذلك المسلم لا يتساهل في أركان الإسلام، بل عليه أن يأتي بجميع أركان الإسلام تمامًا.

وهذه الأركان إذا أتى بها المسلم محتسبًا الأجر من الله ﷻ فإنه من أسباب دخوله الجنة، ولذلك أتى إلى النبي ﷺ أعرابي فذكر له النبي ﷺ أركان الإسلام، فقال: والذي بعثك بالحق ما أنقص من ذلك شيء ولا أزيد، قال ﷺ: «مَن سره أن

ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» فإذا صدق الإنسان وأتى بأركان الإسلام غير ناقص منها شيء فإنه إن شاء الله إلى الجنة.

ففي الحديث بيان تفسير الإسلام، أن الإسلام يشتمل على أركان.

قال المؤلف –رحمه الله-: وفيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده».

في هذا الحديث أن الإسلام معناه أوسع بحيث أنه يدخل فيه الأركان وغيرها، فالإسلام يشمل الأركان ويشمل جميع ما أمر الله ﷻ به وما نهى عنه، ولذلك المسلم الذي كمل إسلامه هو الذي يأتي بالأركان ثم يأتي بجميع ما أمر الله ﷻ به وينتهي عما نهى عنه، والمراد في هذا الحديث أن الإسلام أوسع من الأركان؛ بمعنى أن الإسلام له أركان وله فروع كثيرة، فيدخل فيه أن يسلم الناس من يده ولسانه، وأيضًا يسلم جاره من أذاه ، ويسلم منه الناس في دمائهم وأموالهم، فالمراد أن الإسلام له فروع كثيرة وأركانه خمسة هي التي في حديث عمر ﷺ، وأما فروع الإسلام فكثيرة كترك أذى المسلمين من الإسلام، وبر الوالدين من الإسلام، والإحسان إلى الجار من الإسلام، ونحو ذلك فهذا يدخل في الإسلام.

المؤلف أراد بهذا الحديث أن يُبين أن الإسلام أوسع من كونه الأركان فقط، قال: وفيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «المسلم» يعني المسلم كامل الإسلام، «مَن سلم» سلم يعني نجا، «المسلمون من لسانه ويده» يعني من جارحة لسانه، ويده يعني من لسانه من الوقوع في الأعراض، بالغيبة، والنميمة، والشتم، والسب، والقذف وغير ذلك، والتنقص من الناس، فيسلم الناس من هذا كله، وأيضًا من يده بحيث أنه لا يضرب ، ولا يقتل، ولا يأخذ الأموال، ولا ينهب بغير حق، لأن الأذاى لا يخلو إما أن يكون بلسان وإما أن يكون بيد، قد يؤذي الإنسان بلسانه كالغيبة والنميمة والشتم والسب والتنقص ونحو ذلك، أو يده كالضرب والسرقة والنهب والغصب والقتل ، فإذا سلم المسلمون من لسان المسلم ويده فقد كمل إسلامه.

ففي هذا الحديث أن المسلم يحرص غاية الحرص أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، بحيث لا يقع في أعراضهم ولا يشتم ولا يكذب ولا يغتاب، وأيضًا لا يضرب

بغير حق ولا يقتل ولا يأخذ مال ولا يغصب أرض ونحو ذلك ، فإذا فعل ذلك فإنه قد كمل في إسلامه، وذلك أن الإسلام هو الانقياد بحيث أن الإنسان ينقاد لله ﷻ، أمرك الله ﷻ أن تكف يدك ولسانك، فكف يدك ولسانك حتى لو كان هذا الشيء مما تدعو إليه النفس، فالغيبة مثلًا أو الوقوع في أعراض الناس هذا قد تدعو إليه النفس، يعني يشتهي الإنسان في قلبه أن يقع في عرض هذا الرجل مثلًا أو يغتابه أو يتنقصه ولكن إذا كان مسلم حقًا فإنه يكف، وأيضًا يده قد يريد أن يغصب هذه الأرض أو يغصب هذا المال أو يسرق هذا المال، فإذا كان مسلمًا حقًا فإنه يكف هذه اليد لله ﷻ، فيكون قد كمل في إسلامه.

المراد أن يأتي الإنسان بالأركان الخمسة ثم يأتي بما أمر الله ﷻ به وينتهي عما نهى الله ﷻ عنه، فيكون قد كمل في إسلامه.

قال: وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: (أنه سأل رسول الله ﷺعن الإسلام؟ فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة») رواه أحمد.

هذا الحديث فيه أن الإسلام كما تقدم يشمل على أركان وواجبات، ولذلك لما سأل الصحابي رسول الله ﷺ عن الإسلام قال: «أن تسلم قلبك لله» يعني توحد الله وتنقاد وتستسلم لله بالتوحيد، «وأن تولي وجهك إلى الله» بحيث تدعوه، ترجوه، وتخافه ولا ترجو غيره سبحانه، ولا تريد إلا من عنده –سبحانه وتعالى-، ولا تتعبد إلا له، قال: «وأن تصلي الصلاة المكتوبة» يعني تؤدي الصلوات الخمس بخشوع وخضوع وأداء الشروط والواجبات والأركان، وقوله: مكتوبة دل على أنها واجبة ليست مستحبة، فيؤدي الإنسان المكتوبة، «وتؤدي الزكاة المفروضة» الزكاة التي فرضها الله ﷻ وهذه الزكاة قد يتساهل فيها بعض الناس، إما جهلًا بالحكم؛ يعني عنده مال تاجر أو عنده مثلًا مزارع ويخرج منها الثمار الكثيرة ولا يُزكي جهلًا، وهذا الجهل غير معذور فيه الإنسان؛ لأن هذا الجهل مكتسب، ما ذهب يسأل العلماء عن حكم الزكاة، عن حكم هذا المال، هذا جهل غير معذور فيه الإنسان، فلذلك من الأمور لا بد أن يتعلمها الإنسان، كالزكاة لمَن عنده مال يجب عليه أن يتعلم، قد

يكون عند الإنسان مال كثير كالأشجار مثلًا والنخيل، يخرج منها ثمار كثيرة ولا يُزكي، تمر السنة والسنتان والثلاث ولا يُزكي، لماذا؟ لأنه يجهل الحكم بسبب عدم التعلم، ما سأل ولا بحث ولا قال ما معنى الزكاة، وهل هذا فيه زكاة، ما بحث، وهذا يُسمى تجاهل وليس بجهل، أيضًا قد يكون بسبب البخل؛ يعرف الإنسان الحكم الشرعي ولكن يبخل بالمال، وهذا مخطئ لأن الزكاة لغةً الزيادة، فهي تزيد المال ولا تنقصه، ولذلك إذا زكى الإنسان فإن الله ﷻ يُبارك في ماله ويزيد ويكثر، والزكاة مفروضة فلذلك قال: «وتؤدي الزكاة المفروضة» يعني مُتحتمة فهي حتمًا على الإنسان لا بد أن يؤديها.

ففي الحديث أن الإسلام يشمل الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد، وأن يؤدي الصلاة، وأن يؤدي الزكاة، فهذا كله من الإسلام، هذا معنى تفسير الإسلام كما ذكر المؤلف –رحمه الله-.

قال: وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه: أنه سأل رسول الله ﷺما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت».

في هذا الحديث كما تقدم أن الإسلام يشمل على الأركان، ويشمل فروع الإسلام، من الطاعات ونحو ذلك، وأيضًا في فائدة في هذا الحديث أن الإيمان من الإسلام، ولذلك قال: أي الإسلام أفضل؟قال: الإيمان. فدل على أن الإيمان من الإسلام.

قال: وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه: أنه سأل رسول الله ﷺما الإسلام؟. ففيه أنه أراد أن يفسر له النبي ﷺ الإسلام، قال: «أن تسلم قلبك لله» يعني تستسلم لله ﷻ بالتوحيد، وتنقاد إليه بالطاعة، وتبرأ من الشرك وأهله، «ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» يعني يسلم المسلمون وينجوا من لسانك ويدك كما تقدم، لا تتعرض لهم بأذى باللسان، ولا تتعرض لهم بأذى باليد، فإذا كنت كذلك فقد كمل إسلامك، وفي الحديث أن المسلمين ليسوا سواءً في الإسلام، فمن المسلمين مَن قد

كمل في إسلامه، وهو أن يؤدي جميع ما أمر الله ﷻ به، وينتهي عن ما نهى عنه، فيؤدي الأركان الخمسة، ويؤدي جميع الواجبات، ويترك جميع المحرمات، هذا قد كمل في إسلامه، وأما الآخر إذا أتى بالأركان ولكنه وقع في تقصير بيده أو بلسانه أو يترك بعض الواجبات ويفعل بعض المحرمات، فهذا في إسلامه نقص ليس كالأول، لذلك الشيخ السعدي ذكر قريب من هذا المعنى أن الناس ليسوا في الإسلام سواء بل يختلفوا، وان كانوا جميعا مسلمين ولاكن مَن أدى الواجبات وأتى بالأركان وانقاد لله ﷻ فإنه ليس كالرجل الذي يعصي وهو على الإسلام لكنه عنده ضعف، ولذلك بيّن النبي ﷺ أن المسلم الكامل أنه يستسلم لله بقلبه ويسلم المسلمون من لسانه ويده.

قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان.الإيمان لغةً هو التصديق الجازم، وأما شرعًا فهو التصديق المقترن بالخضوع لله بأداء أوامره والاجتناب عن نواهيه، فعلًا للمأمور وتركًا للمحذور، والإيمان في الشرع لا بد فيه من تصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، ونطقٌ باللسان، لا تنفك هذه الثلاثة عن الإيمان فهي كلها داخلة في الإيمان، قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح، لا يُقال أن الإيمان هو تصديق القلب فقط، ولا يُقال الإيمان هو نطق اللسان فقط، ولا يُقال عمل الجوارح فقط فإن هذا ليس بصحيح بل الإيمان تصديقٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح ونطقٌ باللسان فهذه أركان الإيمان الثلاثة، لا ينفك واحد عن الآخر، لا تنفك عن بعضها البعض، والإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، بمعنى أنه إذا قيل: الإسلام والإيمان، فيُفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة كالصلاة والصوم والحج والأعمال الظاهرة، ويُفسر الإيمان بأعمال القلب، ولذلك النبي ﷺ فسر الإيمان هنا بأعمال القلب، هذا إذا اجتمعا، وإذا افترقا دخل هذا في هذا فيُقال هذا رجل مسلم، ويدخل فيها الإيمان ويقال هذا رجل مؤمن، ويدخل فيها الإسلام، هذا هو الصحيح أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله» يعني تؤمن بالله بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته تؤمن بهذا كله، «وملائكته» أيضًا تؤمن بوجودهم، تؤمن

أن الله ﷻ خلق ملائكة لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وتؤمن بصفاتهم، وتؤمن بأعمالهم، وتؤمن بمَن سُميَّ لنا، «وكتبه» وأيضًا تؤمن بأن الله ﷻ أنزل كتب وتُصدق ما فيها، «ورسله» وأيضًا تؤمن بالرسل، والإيمان بالرسل قد يكون جملةً فتؤمن أنه ما من أمة إلا وقد بعث الله لها رسول كما قال –سبحانه وتعالى-:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النمل: ٣٦] وأيضًا قد يكون مُفصّل فتؤمن بمَن علمت، فتؤمن بمحمد ﷺ، وتؤمن بعيسى، وموسى، وإبراهيم، ونوح وباقي الرسل الذين سماهم الله ﷻ لنا، «والبعث بعد الموت» البعث لغةً هو الإثارة وإخراج الشيء، وأما في الشرع فهو بعث الناس لحسابهم يوم القيامة، الناس إذا ماتوا لا يضمحلون ينتهون ويصبحون في العدم، بل لهم حياة أخرى وهي حياة سرمدية لا تنقطع، بحيث أن الناس إذا ماتوا يُبعثون يوم القيامة فيُحاسب الإنسان على ما عمل في هذه الدنيا، فهذه الدنيا هي دار العمل، ويوم القيامة دار الحساب، فيُحاسب الإنسان على ما عمل في هذه الدنيا، ولذلك قال النبي ﷺ: «والبعث بعد الموت» تؤمن أن الله ﷻ سيبعث الخلق، وأن الله ﷻ حدد لهم يوم يُبعثون فيه فيقفون بين يدي الله ﷻ فيُحاسبهم، والموت هو خروج الروح وانفصالها من البدن، وانتقالها إلى عالم الأرواح، الروح تخرج والبدن يموت، وأما الروح فلا تموت ولذلك الأرواح إذا خلقت ما تموت بل تبقى إلى يوم القيامة ثم يُرجعها الله ﷻ للبدن الذي خرجت منه.

المتن

باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يا رب! أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الصدقة، فتقول: يا رب! أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام، فيقول: يا رب! أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام، فيقول: يا رب! أنت السلام، وأنا الإسلام،

فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أُعطي، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]»رواه أحمد.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺقال: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ورواه أحمد.

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: (بابٌ)يعني باب ملحق بما سبق، المؤلف –رحمه الله- لما فسر الإسلام ذكر في هذا الباب أن الإنسان إذا تدين بدين غير الإسلام فإن هذا الدين مردود إليه، وهذا الباب مهم جدًا وذلك أنه على الإنسان أن يتعلم بحيث أنه يعرف أن الدين الحق هو الإسلام دون غيره من الأديان، فلا دين حق قائم الآن في هذه الدنيا إلا الإسلام، وغيره من الأديان باطلة ويجب على كل مسلم أن يعتقد أنها باطلة تدينًا لله ﷻ وليس اختيارًا، بل عليه أن يعتقد أنها باطلة، وأنها أديان باطلة مردودة على أصحابها؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- اختار لنفسه الإسلام، ولأن النبي ﷺ أخبر أن مَن مات على غير دين الإسلام فإن النار مثواه من غير شك، وهذا قد دل عليه الكتاب والسنة، ولذلك قال المؤلف: باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥].

في هذه الآية الكريمة يبين –سبحانه وتعالى- أن مَن اتخذ له دين غير الإسلام يتعبد به فإن دينه هذا مردود إليه، ولا يقبله الله –سبحانه وتعالى- منه إذا مات عليه، فمَن تدين بالنصرانية أو اليهودية في هذا الوقت ومات على ذلك فإن دينه مردود إليه ولا يقبله الله –سبحانه وتعالى-؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ يعني يطلب ﴿غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا﴾ أيًا كان هذا الدين يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو بوذية أو غير ذلك، فإن هذا الدين مردود، ولذلك قال: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، والله ﷻ لا يُبدل القول لديه –سبحانه وتعالى-، لذلك إذا قضى بشيء فإنه لا يتغير، فلا يقبل الله ﷻ دين غير الإسلام، هذا أمر مهم على المسلم أن يعتقد أنه لا دين قائم بحق إلا الإسلام وما سواه من الأديان فهي باطلة، إما أديان قد نُسخت وذهبت، وإما أديان مبتدعة ابتدعها الناس من أنفسهم، كاليهودية والنصرانية مثلًا كانت أديان وقد

نُسخت ومضت، أما الآن فليس بقائمة لأنها نُسخت، ولذلك لما بعث النبي ﷺ نسخ الله ﷻ الأديان التي قبله، اليهودية والنصرانية نُسخت وذهبت، يعني مَن يتدين بها فلن يُقبل منه.

قال: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الأعمال يوم القيامة»هذا يوم القيامة، وفيه أن الأعمال تُصوَّر يوم القيامة، «تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يا رب! أنا الصلاة، فيقول: إنكِ على خير»يقول الله ﷻ للصلاة أنكِ على خير«ثم تجيء الصدقة»والظاهر أن الصدقة هنا هي الزكاة «ثم تجيء الصدقة، فتقول: يا رب! أنا الصدقة، فيقول: إنكِ على خير»يقول الله ﷻ للصدقة أنكِ على خير«ثم يجيء الصيام، فيقول: يا رب! أنا الصيام، فيقول: إنك على خير»كما تقدم«ثم تجيء الأعمال على ذلك»يعني على هذا القول مثلًا الحج يقول: يا رب أنا الحج، وهكذا«فيقول: إنكِ على خير، ثم يجيء الإسلام، فيقول: يا رب! أنت السلام»فالسلام اسم من أسماء الله –سبحانه وتعالى-، وهو السالم من كل نقص –سبحانه وتعالى-،«وأنا الإسلام»يعني الذي سميتني الإسلام «فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أُعطي»يعني إذا كان الإنسان على الإسلام فإنه يُجازى بالحسنى، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]».

في هذا الحديث أن مَن تدين بدين غير الإسلام فإنه لن يُقبل منه، ومَن كان على الإسلام ولو كان عنده نقص في إسلامه فإنه على خير عظيم، ولذلك إذا مات الإنسان وهو مسلم فهو على خير عظيم حتى ولو كان مُقصر، لو كان عنده مثلًا معاصي وعنده ذنوب لكن مات على الإسلام، فهذا على خير لأنه إما أن يدخل الجنة ابتداءً إذا عفا الله ﷻ عنه، وإما أن يكون مصيره إلى الجنة بعد العذاب الذي يناله، ولكن يحذر العاصي من الذنوب والمعاصي؛ لأن الإنسان ضعيف ما يتحمل عذاب الله ﷻ، قد يُعذب بسبب معاصيه، والمراد أن الإنسان إذا مات على الإسلام فإنه إلى الجنة ولذلك في قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[الحجر: ٢] قال المفسرون: أن بعض مَن يكون على التوحيد يدخل النار بسبب الذنوب، ثم ينظر إليهم الكفار والمشركون في النار، فيقولون: أنتم تزعمون أنكم على التوحيد

والإسلام وأنكم من أهل الجنة وأنتم معنا الآن، فيغضب الله ﷻ لعباده فيُخرجهم من النار، عند ذلك يود أهل الشرك والكفر لو كانوا على الإسلام حتى يخرجوا، ولذلك مَن مات على غير الإسلام فإنه لا حيلة فيه لأنه خالد مخلد في النار، ولذلك الكفار هم أهل النار الذين يصيرون إليها، أما مَن كان على الإسلام ولو كان مقصر فإنه مئله إلى الجنة حتى لو بقي في العذاب مدة، ولكن لا يتساهل الإنسان في المعاصي لأن بعض الناس إذا قيل له المسلم لا يخلد في النار، اطمئن كأن الأمر واسع، ولكن ينسى أن عذاب الله ﷻ شديد، وأن النار شديدة الحر، لذلك لو غُمِسَ الإنسان غمسة في النار لذهب عنه ما مُتع به من الدنيا، يعني غمسة واحدة في النار تُنسيه متاع الدنيا جميعًا لو كان من أنعم أهل الأرض، فكيف بالذي يبقى فيها سنة أو سنتين أو أكثر أو عشر سنين أو مائة سنة؟ قد يبقى الإنسان مدة من الزمن فكيف يتحمل هذا الوقت العظيم، وهذه مسألة مهمة لأن الإنسان إذا تذكر هذا الشيء وأن العذاب شديد يحذر أن يُغمس غمسة في النار، يحذر من هذا الشيء.

قال المؤلف –رحمه الله-: وفي الصحيح (يعني في صحيح مسلم) عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺقال: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»رواه أحمد.

الحديث في صحيح مسلم ويقول رواه أحمد أيضًا، ففي الحديث أن مَن أتى بعمل لم يشرعه الله ﷻ فهو مردود عليه، ولذلك الإنسان لا يُتعب نفسه في أمر غير مشروع، قال –سبحانه وتعالى-:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣)﴾[الغاشية: ١-٣] قال العلماء: أنها تنصب في الدنيا، تعمل وتتعب وتهلك نفسك في الأعمال وتظن أنها على خير، ثم قال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (٤)﴾[الغاشية: ٣-٤] يعني مع أنهم تعبوا في الدنيا وعملوا وظنوا أنهم سيدخلون الجنة نصبوا –نسأل الله العافية- في النار، قال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣)﴾يعني تاعبة بالعمل، ﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (٤)﴾يعني يُصليها الله –سبحانه وتعالى- يوم القيامة النار الحامية؛ لأنهم عملوا على غير الإسلام، بعض أهل الكفر يتعبد وعنده عبادات ويتعب ويشقى في الأعمال ولكنه على غير الإسلام، فيصلى

النار الحامية، ولذلك الإنسان يحذر أن يكون على دين غير الإسلام بل يتدين بالإسلام؛ لأن هذا الدين هو الذي بعث الله ﷻ به الرسل جميعًا، كل الرسل على الإسلام، جميع الرسل بُعثوا بالإسلام، والأدلة على هذا كثيرة، ولكن بعد مبعث النبي ﷺ فالإسلام ما جاء به محمد ﷺ.

المتن

قال المؤلف –رحمه الله-: باب وجوب الاستغناء بمتابعته الكتاب عن كل ما سواه.

الشرح

في هذا الباب أراد المؤلف –رحمه الله- أن يُبيّن أن المسلم الموحد عليه أن يستغني بالشرع الذي جاء به النبي ﷺ؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- أكمل هذا الدين فلا يحتاج المسلم في دينه ودنياه إلى غير ما جاء به النبي ﷺ.

فمناسبة الباب: أن يعتقد المسلم أن في كتاب الله ﷻ الغنى، بحيث أن الله –سبحانه وتعالى- بيّن الشرع وما يحتاج إليه الإنسان في دينه ودنياه، ولذلك قال: باب وجوب الاستغناء بمتابعته الكتاب عن كل ما سواه.

المتن

ثم قال: وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩] الآية.

الشرح

هذه الآية الكريمة فيها أن الله –سبحانه وتعالى- أنزل على محمد ﷺ الكتاب، وفيه تبيين ما يحتاجه الإنسان، ولذلك قال: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الضمير عائد إلى النبي ﷺ، قال: ﴿الْكِتَابَ﴾ ال هنا للعهد الذهني، يعني الكتاب المعهود في الذهن وهو القرآن الكريم،﴿تِبْيَانًا﴾ التبيان هو التوضيح، موضح،﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني لكل شيء يحتاجه الإنسان، فهذا الكتاب الكريم فيه تبيان ما يحتاجه الإنسان فلا عمل يقرب إلى الله –سبحانه وتعالى- إلا وقد بُيّن في هذا الكتاب، وما من عملٍ يُبعد عن الله –سبحانه وتعالى- إلا بُيّن في هذا الكتاب، إما نص على هذا الشيء، وإما داخل في العموم، ولذلك تبيين القرآن إما أن ينص الله ﷻ على الشيء بعينه كقوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[البقرة: ٤٣]، وقال تعالى:﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾[الإسراء: ٣٢] نص على الشيء بعينه، وإما أن يكون عام يدخل فيه كل أمر وكل نهي؛ بمعنى أن يأتي القرآن بالعموم كقوله تعالى:﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ﴾[الحشر: ٧] هذا يدخل فيه كل ما أتى به النبي ﷺ، وقال –سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ هذا يدخل فيه كل نهي، القرآن قد ينص على شيء لذلك يُنبه على أن الإنسان إذا ورد عليه شيء منهي عنه فليعلم أنه في كتاب الله، ولذلك جاء في الصحيح أن ابن مسعود ﷺ نهى النامصة والمتنمصة، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقال: إن هذا لفي كتاب الله، فقالت امرأة: إني قرأت القرآن من أوله إلى أخره، فلم أجد هذا في القرآن. قال: ألم تسمعي قول الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُوَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ فهو مما نهى عنه النبي ﷺ، ولذلك يُنبه على أن القرآن فيه تبيان لكل شيء.

المتن

قال: روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ: أنه رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺورقة من التوراة.

الشرح

يعني من التوراة التي أنزلها الله ﷻ على موسى.

المتن

فقال: أمتهوكون

الشرح

يعني أمتحيرون.

المتن

يا ابن الخطاب؟

الشرح

هذا نداء لعمر.

المتن

يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية.

الشرح

يعني جئتكم بهذه الشريعة بيضاء نقية واضحة لا لبس فيها بوجه من الوجوه.

المتن

ولو كان موسى حيًا واتبعتموه.

الشرح

(ولو) يقول أهل اللغة أنها حرف امتناع لامتناع، فامتنع الثاني لامتناع الأول، فحرف (لو) حرف امتناع لامتناع.

(ولو كان موسى حيًا) يعني على قيد الحياة، وموسى قد مات، هذا يدلك على الحرف هذا ممتنع.

(ولو كان موسى حيًا واتبعتموه) يعني سرتم خلف موسى –عليه الصلاة والسلام- ومع أنه رسول، مع أنه من أولي العزم.

المتن

وتركتموني.

الشرح

يعني تركتم النبي ﷺ واتبعتم موسى وتركتم النبي ﷺ.

المتن

ضللتم.

الشرح

يعني تهتم عن الطريق، هذا يدلك على أن الواجب على المسلم أن يتبع النبي ﷺ، ولذلك متابعة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم، بل إن بعض المفسرين قال: إن مما عهده الله ﷻ على الأنبياء، أنه إذا بُعِث النبي ﷺ أن تنصروه وتتبعوه، فهو –عليه الصلاة والسلام- الذي بُعث إلى الخلق أجمعين، ولهذا هذا من خصائص النبي ﷺ أنه بُعث إلى كل مَن هو مُكلف، ويدخل فيه الإنس والجن، يعني يجب على كل إنسي أن يتبع النبي ﷺ بعد مبعثه، ويجب على كل جني أن يتبع النبي ﷺ وجوبًا لا اختيارًا، وقد جاء في الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «وبعثت إلى الناس عامة» يعني إلى الناس جميعًا، وقد قال الله –سبحانه وتعالى-:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ

اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[الأعراف: ١٥٨]، فالنبي ﷺ مبعوث إلى الخلق جميعًا من المكلفين، فيجب عليهم أن يتبعوه وجوبًا.

المتن

وفي رواية: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي».

الشرح

هذه في رواية أخرى يقول النبي ﷺ: «لو كان موسى حيًا ما وسعه» يعني لا بد له –عليه الصلاة والسلام- «إلا اتباعي» إلا اتباع النبي ﷺ.

المتن

فقال عمر: "رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺنبيًا".

الشرح

يعني سلَّم أمره إلى الله ﷻ رضي الله عنه، رضي بدين الله –سبحانه وتعالى-، وفي هذا الحديث فوائد، من فوائد الحديث:

أن المسلم عليه ألا يتبع غير الشرع الذي جاء به النبي ﷺ، ولذلك (شرع مَن كان قبلنا) اختلف فيها العلماء هل هو شرع لنا أم ليس بشرع لنا، والأقرب والله أعلم أنه شرع لنا بشرط ألا يأتي شرعنا بخلافه، ولذلك ما جاء عن الأمم السابقة لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يأتي في شرعنا تصديقه، فنُصدق به.

الثاني: ما جاء في شرعنا تكذبيه، فنُكذب به.

الثالث: ما سُكت عنه لم يأتي تصديقه ولا تكذيبه، فهذا يقول النبي ﷺ: «إذا حدثكم اليهود والنصارى أو إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» فإذا حدثك النصراني أو اليهودي بشيء من الدين ولا تعلم أحقٌ هو أم باطل فلا تُكذب ولا تُصدق؛ لأنه قد يكون حق وتكذب به، وقد يكون باطل وتصدق به، فتتوقف.

فمن الفوائد:

أن الإنسان عليه أن يتبع هذا الشرع الذي جاء به النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ أنكر على عمر، قال: هل أنتم في حيرة من هذا الدين؟ ولذلك الشريعة التي بُعث بها النبي ﷺ واضحة، وما مات النبي ﷺ إلا وقد أوضح الله به هذا الدين، وقد جاء عن أبي ذر

ﷺ قال: ما مات النبي ﷺ إلا وما من طائر في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا. وجاء في الحديث الآخر أنه ﷺ قال: «ما من شيء يقربكم إلى الله إلا وحدثتكم به» أو كما قال –عليه الصلاة والسلام-.

فمن الفوائد:

أنه على المسلم أن يستغني بهذا الشرع ولا ينظر إلى شرع غيره، فلا يبحث عن دين غير دين الإسلام فهو الدين الحق وما سواه أديان باطلة، ولا يتبع غير النبي ﷺ، ولذلك عيسى –عليه الصلاة والسلام- في أخر الزمان إذا نزل يكون على الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ، ولا يأتي بشرع جديد وإنما يأتي بالشرع الذي جاء به النبي ﷺ ولذلك قال الذهبي أن عيسى عليه السلام نبي وصحابي؛ لأنه رأى النبي ﷺ في السماء وآمن به وينزل في أخر الزمان يكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يرضى إلا الإسلام ويكون متبعًا للنبي ﷺ.

المتن

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

الشرح

مناسبة هذا الباب أن المؤلف أراد فيه أن يُبين أن كل دعوى تُبعد الإنسان عن دين الله فعليه أن ينأى عنها ويبتعد، وسيأتي ببعض النصوص التي فيها الدعاوى التي تكون سببًا في خروج الإنسان عن دعوى الإسلام، والمراد أنه أراد أن الإنسان يحذر من كل دعوى من دعاوى الجاهلية؛ لأن بعض دعاوى الجاهلية لا تُخرج من الإسلام ولكنها من دعاوى الجاهلية فتُخرج الإنسان عن دعوى الإسلام وليس بالكلية.

المتن

وقوله تعالى:﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾[الحج: ٧٨].

الشرح

هذه الآية الكريمة فيها أن الله –سبحانه وتعالى- سمى أتباع النبي ﷺ مسلمين، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من قبل نزول القرآن في الكتب الماضية،﴿وَفِي هَذَا﴾ يعني في هذا الكتاب القرآن الكريم، قال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ﴾ هو الضمير عائد إلى الله –سبحانه وتعالى-

،﴿سَمَّاكُمُ﴾ التسمية هو ما يدل على الشيء، فإذا قيل مثلًا فلان، يتبادر إلى ذهنك معين فهو العلم الذي وضع على الشيء،﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني المستسلمين لله، المنقادين له بالطاعة والتوحيد والبريئين من الشرك وأهله،﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة،﴿وَفِي هَذَا﴾ اسم الإشارة هنا تدل على القرآن، يعني في هذا القرآن، فالله ﷻ سمى أمة محمد ﷺ المسلمين من قبل نزول القرآن ومن بعده، فعلى المسلم أن يتمسك بهذا الدين ولا يرضى لنفسه اسم غير اسم المسلم، فيتمسك بهذا الاسم ولا يرضى لنفسه غيره، وكل دعوة تُبعد عن هذا الاسم فلينى عنها ويتركها ويبتعد عنها.

قال: عن الحارث الأشعري ﷺ عن النبي ﷺأنه قال:«آمركم بخمس» يقول النبي ﷺ أمركم بخمسة أشياء «الله أمرني بهن» يعني الله –سبحانه وتعالى- أمر النبي ﷺ بهذه الخمس، قال: «السمع، والطاعة» السمع يعني بالأذن، والطاعة هي موافقة المراد، والسمع هنا يعني السمع لولاة الأمور والطاعة لهم، فهذا مما أمر الله – سبحانه وتعالى- به رسوله، وأمر النبي ﷺ بها أمته يعني السمع والطاعة لمَن ولاه الله ﷻ، ففيه أن الله –سبحانه وتعالى- أمر النبي ﷺ بهذا، قال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء: ٥٩] فالله ﷻ أمر بهذا، وقال النبي ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» لأن من القواعد أن الطاعة إنما هي في المعروف، فإذا أمِرَ الإنسان بالمعصية فلا سمع ولا طاعة، لا يسمع الإنسان لأحد في معصية الله؛ لأن الطاعة إنما هي مقيدة في طاعة الله، طاعة مَن سوى الله مقيدة بطاعة، طاعة المرأة للزوج أو طاعة الابن للوالد أو طاعة الرعية للأمير إنما هي مقيدة في المعروف، فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة لهؤلاء، ولكن هذا مما أمر الله ﷻ الرسول، وأمر الرسول ﷺ به أمته.

قال: «السمع، والطاعة، والجهاد»الجهاد في الشرع هو بذل الجهد في مجاهدة الكفار لأن تكون كلمة الله هي العليا، فالجهاد مما أمر الله –سبحانه وتعالى- به رسوله، وأمر الرسول ﷺ به أمته، ولذلك الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وقد عدّه

بعض العلماء من أركان الإسلام؛ لأن بسببه يُقام هذا الدين، وبسببه يظهر الإسلام على الكفر، ولا بد أن تكون كلمة الإسلام هي العليا، فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ويجب أن يكون هذا، ولذلك من أسباب أن يكون هذا الجهاد، فالمجاهد في سبيل الله يجاهد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفر هي السفلى، أيًا كان هذا الكفر يكون هو الأسفل، وكلمة الله هي العليا، والجهاد ينقسم إلى قسمين:

جهادٌ باللسان؛ فتُجاهد الكفار بلسانك، وهذا هو الأصل، ولذلك يقول شيخ الإسلام أن الأصل هو الجهاد باللسان، إذا كنت تستطيع أن تجاهد الكفار بلسانك فترد شبهاتهم، وتبين الشرك الذي عندهم فهذا هو المطلوب.

الثاني: الجهاد بالسيف والسنان؛ وهذا يكون لمَن لم يرضى بالإسلام، فهذا يُقاتل حتى يؤذعن للإسلام أو يكون صاغر ويرى أن الإسلام هو الأعلى، ولذلك ليس المراد أن نقاتل مَن قاتلنا ولا نقاتل مَن لم يقاتلنا، لا ليس هذا هو المراد بل يجب على المسلمين إذا كان لهم قدرة ومنعة أن يقاتلوا الكفار حتى يدخلوا الدين أو يضعفوا ويذلوا تحت راية الإسلام، هذا المراد من الجهاد.

قال: «والهجرة»المراد بها هنا هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، والهجرة واجبة إلى يوم القيامة، إذا كان الإنسان في بلد كفر ولا يقدر على أن يظهر دينه فإنه يجب عليه أن يهاجر في أرض الله الواسعة حتى يتعبد لله ﷻ، فإذا كان مثلًا في أرض كفار وهؤلاء الكفار يُضيقون عليه حتى لا يظهر الدين، لا يقدر أن يصلي، لا يقدر أن يصوم، لا يقدر أن تتحجب المرأة أو نحو ذلك، وكان له قدرة فيجب عليه أن يهاجر، يخرج من هذه الأرض حتى يتعبد لله ﷻ، فهي مما أمر الله ﷻ به وأمر به النبي ﷺ أمته.

قال:«والجماعة»يعني مما أمر الله ﷻ به رسوله، وأمر الرسول ﷺ أمته أن يلتزم بالجماعة، والجماعة هي الأمة المجتمعة على دين مع إيمام، فمما يؤمر به الإنسان أن يجتمع مع إمامه على طاعة الله، فهي مما أمر الله ﷻبه، وأمر به النبي ﷺ، والجماعة تنقسم إلى قسمين:

جماعة في العقيدة فيُقال: أهل السنة والجماعة يعني في العقيدة، فهذا في كل مكان يجتمعون على هذه العقيدة، إذا كانوا يعتقدون هذه العقيدة فيكونون أهل السنة والجماعة.

الثاني: جماعة في الدنيا وهي الراعي والرعية يجتمعون على السمع، والطاعة، وعلى التناصح، وعلى المحبة في طاعة الله، وعلى طاعة الله ﷻ، والجماعة هي من أهم ما يكون، ولذلك المسلم عليه أن يحرص دائمًا على الاجتماع وعدم التفرق؛ لأن كون الإمام والرعية يجتمعون على التناصح والمحبة والمودة ويحب كل واحد منهم للآخر ما ينفعه ويسعى في ذلك، هذا هو المطلوب فالإمام يسعى في إصلاح الرعية وإقامة الحدود والألصح لهم، وأيضًا الرعية يطيعوا الإمام في غير معصية الله، ويدعون له، ويسمعون، ويطيعون، وينشرون فضائله هذا مطلوب من المطلوبات، هذا مما أمر الله ﷻ به رسوله في هذا الحديث، وأمر النبي به ﷺوسيأتينا إن شاء الله شيء من هذه في الفوائد.

قال:«فإنه من فارق الجماعة»يعني خرج عن هذه الجماعة المجتمعة على طاعة الله، «فإنه من فارق الجماعة قيد شبر»يعني قليل من الخروج، والشبر هو من الإبهام إلى الخنصر إذا كانت اليد مبسوطة، هذا يسمى الشبر، إذا كانت اليد مبسوطة من الإبهام إلى الخنصر هذا يُسمى شبر، فهذا يدلك على أن قليل الخروج يترتب عليه هذا الأمر الذي سيُذكر في هذا الحديث.

قال:«فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»يعني العروة، عروة الإسلام«إلا أن يراجع»إلا أن يرجع إلى الجماعة ويلتزم ويكون معهم،«ومَن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم»دعوى الجاهلية هي التعازي، أنا ابن فلان أنا الذي فعلت كذا، نحن أولاء بنو فلان ونحن كذا وكذا، هذا يسمى دعوى الجاهلية، فقال رجل يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله» رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

هذا الحديث فيه فوائد كثيرة، من فوائد الحديث:

أهمية السمع والطاعة لمَن ولاه الله ﷻ في غير معصية الله، ولذلك هذا مما أمر الله ﷻ به في كتابه، وأمر به النبي ﷺ في سنته، والإخلال في هذا الأمر من أسباب شتات الناس، عدم السمع والطاعة من أسباب الشتات، ولذلك يقول شيخ الإسلام، وشيخ الإسلام رجل عنده علم في التاريخ، يقول:أنه ما عُلِم أمة خرجت على إمامها إلا وكان من الفساد ما هو زائد على ما أرادوا من الإصلاح. يعني لا يخرج أناس على الإمام يريدون الإصلاح إلا ووقع من الفساد ما هو أعظم من الذي أرادوا، فيكون مثلًا فيه فساد من الإمام وشيء من الظلم، ثم يخرجون عليه فيكون الفساد أعظم، بقول هذا هو المعروف، والإنسان ينظر في الواقع الذي يعيش فيه الآن، الذين خرجوا على أئمتهم كيف حصل؟ حصل اختلال الأمن، والقتل، وما الله به عليم، ولذلك من سباب اجتماع الناس أن يسمعوا ويطيعوا في غير معصية الله، ولذلك جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «اسمع وأطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» لو أخذ العصا وجلد ظهرك وأخذ المال من جيبك فلا ترد عليه، قل سمعًا وطاعة من غير معصية الله، ما دام أن هذا في أمور الدنيا فاسمع وأطع؛ لأن هذا من أسباب اجتماع الكلمة.

ومن الفوائد: أهمية الجهاد؛ لأن الجهاد مما أمر الله ﷻ به، والجهاد له فضائل عظيمة، وبسببه يظهر هذا الدين، والجهاد باقي إلى يوم القيامة، ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ ذكر أن أمته لا يزالون يجاهدون حتى يقاتلون الدجال، ولكن الجهاد هو ما كان على شرع الله، ولذلك الجهاد له شروط كما أن الصلاة لها شروط، أليس الصلاة لها شروط؟ الجواب: بلى، كذلك الجهاد له شروط، لا بد للإنسان إذا أراد أن يجاهد يعرف شروط الجهاد، من شروط الجهاد:

أن يكون فيه راية، إمام ورعية، ولذلك جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إنما جُعِل الإمام ليُقاتَل من وراءه» وليس الجهاد أن يخرج عشرة رجال إلى مكان فيقاتلون الكفار فيُبادون أو يحصل منهم الفوضى ليس هذا الجهاد.

وأيضًا الجهاد يكون في قتال الكفار، وليس الجهاد أن يخرج الإنسان فيقتل المسلمين أو يقتل المعاهدين أو يقتل مَن له ذمة، ليس هذا الجهاد وإنما الجهاد هو أن يُقاتل الكفار المحاربين، ولذلك يتنبه لهذا لأنه بسبب جهل بعض الناس بالجهاد وقع

عند بعض الناس لبس، يعني يخرج جماعة يقولون هذا الجهاد، مع أنهم من أبعد الناس عن الجهاد بل أن فعلهم من الظلم ولذلك يتنبه لهذا.

ومن الفوائد: أن الهجرة واجبة، والهجرة تنقسم إلى قسمين:

هجرةٌ خاصة.

وهجرةٌ عامة.

الهجرة الخاصة هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، هذه باقية إلى يوم القيامة، ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا تزال الهجرة حتى يُغلق باب التوبة»وباب التوبة لا يُغلق إلا يوم القيامة.

الثاني: هجرةٌ عامة وهذه هجرة مكان، وهجرة عامل، وهجرة عمل، هجرة مكان؛ وهي الانتقال من بلد المعصية إلى بلد الطاعة، الثاني: هجرة عامل؛ فتهجر صاحب المعصية إذا كان في هجره فائدة، كما قال ابن عبد القوي -رحمه الله-:

وهجران مَن أبدى المعاصي سنةً. وقيل: إن يردع أوجب وأكد

، وقيل: على الإطلاق ما دام معلنًا ولاقيه بوجهٍ مكفهر معربد،

يعني إذا واجهته فتظهر له العبوس حتى يرتدع، ولذلك هذا من الأمور المهمة، إذا رأيت الإنسان إذا هجرته وهو يفعل معصية، يشعر في نفسه أنه فعل المعصية ويتركها فهذا تهجره، أما إذا كان الإنسان إذا هجرته زاد بل قد يشتمك ويقع في عرضك ويزيد في المعصية فهذا لا يُهجر.

الثاني: هجرة عمل؛ فيهجر المسلم كل عملٍ يُبعد عن الله –سبحانه وتعالى-، فيهجر الغيبة، والنميمة، والكذب، والزنا، وشرب الخمر ، ويهجر الغنى وغير ذلك من المعاصي، والدليل ما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: المسلم «مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه» يعني مَن ترك وابتعد عن مانهى الله تعالى.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحرص على الاجتماع سواء هذا الاجتماع في العقيدة أو في الدنيا، في العقيدة فيحرص على الاجتماع بأهل السنة والجماعة، فيحرص على أن يكون على العقيدة الصحيحه وعلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه

، وأيضًا في الدنيا من حيث الراعي والرعية، فيكون ناصح لمَن ولاه الله ﷻ ولا يُفارق هذه الجماعة.

ومن الفوائد: أن المسلم عليه أن يحذر من كل دعوة من دعاوى الجاهلية، كالفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب هذا كله من دعاوى الجاهلية وسيأتينا إ شاء الله الحديث في هذا.

قال المؤلف –رحمه الله-:وفي الصحيح: «مَن فارق الجماعة قيد شبرٍ فمات فميتته جاهلية» يعني مَن فارق الإمام وابتعد عن المسلمين المجتمعين على طاعة الله فإنه يموت ميتة جاهلية، يعني كميتة أهل الجاهلية، وذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يرون السمع والطاعة، هذه مسألة مهمة أن أهل الجاهلية كانوا لا يرون السمع والطاعة للأمير، ولذلك ما كان عند العرب أمير يُسمع له ويُطاع، وإنما كان عند فارس والروم، أما العرب ما كان عندهم أمير، يرون أنه يسمع ويطاع ويعتقدون أن السمع والطاعة للأمير من قهر الإنسان وإذلاله، وهذا من الخطأ ومخالفة الصواب، بل إن السمع والطاعة إنما هو في طاعة الله، أن تسمع وتطيع ليس للأمير ولا لفلان ولا لفلان إنما تسمع وتطيع لله ﷻ، حتى المرأة حين تسمع للزوج لا تسمع لأجل أنه زوج، إنما تسمع طاعة لله؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- أمر بطاعة الأزواج، والابن حين يسمع لأبيه إنما يسمع لأجل الله ويطيع لأجل الله، ما يطيع لأن هذا أباه لا، ولذلك لو أطاع الإنسان والديه للدنيا، يعني لأنه والد فقط ويريد الدنيا فهذا ليس له أجر، أما إذا أطاع الوالد لأنه والده، ولأن الله ﷻ أمر بطاعة الوالدين فإنه يؤجر، وهذه مسألة مهمة.

كذلك السمع والطاعة لولاة الأمر، تسمع وتطيع في غير معصية الله، ولذلك الإنسان عليه أن يكون ناصح لمَن ولاه الله ﷻ، ومن النصح لولاة الأمر:

أولًا: أن تعتقد إمامته، وتعتقد أن فلان إمام يجب عليك أن تعتقد ذلك.

ثانيًا: أن تدعو لهم بظهر الغيب؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- قد قلدهم أمانة فتدعو لهم أن يُعينهم الله ﷻ، وأن يُسددهم، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، وأن يوفقهم

لطاعته، وأن يُيسر أمورهم فتدعو لهم، ولذلك قال الطحاوي –رحمه الله- في العقيدة: وندعوا لهم ونرى السمع والطاعة لهم في غير معصية الله، ولا نرى الخروج عليهم.

وأيضًا من النصح لولاة الأمر: أن تذب عنهم؛ فإذا رأيت أناس يتكلمون في المجالس فعل الأمير كذا أو حصل منه كذا، فتقول توقفوا؛ لأن هذا أصلًا من غيبة المسلم، أليس الأمير مسلم؟ الجواب: بلى، فلماذا يُغتاب عندك وتسكت؟ يجب عليك أن تُذب عنه، بل إن الوقوع في ولاة الأمر أشد من غيبة المسلم الذي ليس له ولاية، لأن هذا يترتب عليه إغارة صدور الناس، ولذلك الخروج على الولاة ما يكون هكذا، ما يخرج الناس إلا بعد أن تتوغر القلوب، ولذلك الذين خرجوا على عثمان ﷺ مع أنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر، خرجوا لأنه أوغرت الصدور عليه، وكان بعض الناس يبعث رسائل كذب ويقولون فعل عثمان كذا، وحصل من عثمان كذا، وعثمان ضرب الصحابي كذا، وعثمان حصل منه كذا، حتى الناس توقدت قلوبهم وظنوا أن هذا حق فخرجوا عليه وقتلوه ﷺ، مع أنه قد بشره النبي ﷺ بالجنة، وقال: «بشره بالجنة على بلوى تصيبه»فيحذر المسلم من إغارة صدور الناس، ويتقي الله ﷻ.

وأيضًا من النصح لهم: أن تحب لهم الخير، وتجمع الناس عليهم إذا رأيت حسنات فتقول هذه الحسنة كذا وكذا فهذا من النصح، وهذا من أسباب الاجتماع وعدم التفرق، ولذلك هذا من أسباب ألا يخرج الإنسان عن هذه الجماعة.

قال: وفيه: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟»هذا الحديث فيه مناسبة وهو أن النبي ﷺ كان في مكان وكان رجل من الأنصار كسح رجل من المهاجرين، فقال المهاجر: يا للا مهاجرين (نادى) فقال النبي ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فإنها نتنة» فهذا من دعاوى الجاهلية، يا بني فلان، يا أيها الفلاينة، يا بني فلان، نحن الفلائنة حتى يوغر صدور الناس ويُخرج هؤلاء قومه على المسلمين أولئك، هذا من دعاوى الجاهلية، ولذلك قال النبي ﷺ«دعوها فإنها نتنة»، ولا شك أنها نتنة كما قال –عليه الصلاة والسلام-؛ لأنها سبب في أن يُبغض المسلم أخيه بغير حق، فالتعازي يا بني فلان، يا آل فلان، يا كذا وكذا هذا من دعوى الجاهلية بحيث أن الإنسان يكون

عنده جهل كأهل الجاهلية، أهل الجاهلية كانوا يتفاخرون بالأحساب والأنساب؛ نحن بنو فلان، نحن الذي حصل منا كذا، ونحن بنو كذا فيتفاخرون،

وهذا من أسباب التباغض لأن هذا الرجل إذا تفاخر بآباءه والآخر تفاخر بآباءه أبغض هذا هذا، وأبغض هذا هذا، مع أنهم كلهم على الإسلام، مع أن هذا يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا يشهد أن محمدًا رسول الله، وهذا يشهد أن محمدًا رسول الله، وهذا على عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا على عقيدة أهل السنة والجماعة، ولماذا أبغضه؟ لأنه تفاخر بآباءه، والآخر تفاخر بآباءه ثم يكون هناك البغض، ولذلك قال النبي ﷺ: «دعوها فإنها نتنة» فإنها لا تجلب خير.

وقال المؤلف –رحمه الله-:(قال أبو العباس) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية(كل ما خرج عن دعوى الإسلام) شيخ الإسلام يقول كل ما خرج عن دعوى الإسلام،(والقرآن من نسب) يعني نحن بنو فلان وأنتم بنو فلان هذا الذي يريده شيخ الإسلام،(أو بلد) نحن أهل البلد الفلاني، وأنتم أهل البلد الفلاني، نحن أحسن منكم لستم بأحسن منا، (أو بلد أو جنس) أنا فلاني أو قال الآخر: أنا فلاني، أنا أحمل الجنسية الفلانية، وقال الآخر: أنا أحمل الجنسية الفلانية ونحن أحسن منك،(أو مذهب) قال هذا: أنا مذهبي كذا وكذا، وقال الآخر: أنا مذهبي كذا وكذا، المراد بالمذاهب هنا يعني المذاهب التي هي على عقيدة أهل السنة والجماعة، يعني مثلًا الحنبلي يقول: أنا حنبلي، ويقول الآخر: أنا شافعي أحسن منك،(أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية) يعني هذا بعزاء الجاهلية، فلا تعتزي لا بنسب ولا ببلد ولا بجنس ولا بمذهب فإن هذه من طرق أهل الجاهلية، وذلك أن الناس من ذكر وأنثى، وأن أصل الناس من تراب فلماذا تفتخر على غيرك وأنت وهو من أصل واحد؟ كيف تفتخر عليه وأصلك وأصله تراب، كيف تفتخر عليه؟

وأيضًا لأن حق الكرم هو في تقوى الله ﷻ ، وليس أنك إذا كنت من بلد الفلاني، والآخر من البلد الفلاني أنك أحسن منه، ليس هذا المراد وإنما الكرم بتقوى الله ﷻ كما قال –سبحانه وتعالى-:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣] فالكرم بتقوى الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام: بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟»وغضب لذلك غضبًا شديدًا انتهى كلامه.

فملخص الباب: أن المسلم عليه أن يتمسك بهذه الشريعة التي بُعث بها النبي ﷺ، سواء كانت في العقيدة أو في سلوكه حتى يكون من أتباع النبي ﷺ حقًا.

المتن

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

وقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة: ٢٠٨]. وقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[النساء: ٦٠]. وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩].

قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: ١٠٦]تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي».

يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي. ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار، وهو في حديث معاوية (عند) أحمد وأبي داود وفيه: «أنه سيخرج من أمتي قوم تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى

الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»وتقدم قوله: «ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية».

الشرح

قال المؤلف -رحمه الله-: (باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه).

مناسبة هذا الباب لكتاب فضل الإسلام: أن المؤلف –رحمه الله- لما ذكر فضل الإسلام، ذكر في هذا الباب أنه يجب على المسلم أن يدخل في جميع ما أُمِرَ به في الإسلام، أن يدخل في هذا الشرع جميعه بحيث لا يُفرق بين شيء وشيء، لا يأخذ ببعض الكتاب ويكفر ببعض كما فعل اليهود، بل عليه أن يدخل في الدين كاملًا فيعمل بهذه الشريعة.

قال المؤلف: (باب وجوب الدخول في الإسلام كله) يعني يدخل في جميع الإسلام بحيث لا يأخذ ببعض الإسلام ويترك البعض، بمعنى أنه لا يأخذ ما يوافق هواه ويترك ما لا يوافق هواه بل عليه أن يتمسك بهذا الدين تمسكًا لا محيد عنه.

قال: (وترك ما سواه) يعني ما سواه من الأديان الباطلة التي لا توصل إلى الله ﷻ.

ثم قال المؤلف: (وقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة: ٢٠٨]) في هذه الآية الكريمة يأمر الله –سبحانه وتعالى- عباده أن يدخلوا في الإسلام جميعًا، بمعنى أنهم يلتزموا ما شُرِعَ في الإسلام فعلًا للمأمور وتركًا للمحذور وقولًا وعملًا، فلا يفرق بين أمرٍ وأمر، ولا بين نهيٍ ونهي؛ بمعنى أن يفعل بعض الأوامر ويترك البعض، وأيضًا لا ينتهوا عن بعض النواهي ويأتوا بعض النواهي، بل عليهم أن يلتزموا بالدين جميعًا، قال –سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا نداءٌ من الله –سبحانه وتعالى- للذين آمنوا، الذين صدقوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، ونطقوا بألسنتهم بشهادة التوحيد، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن مسعود ﵁: إذا سمعت الله –سبحانه وتعالى- يقول يا أيها الذين آمنوا فأرعي لها سمعك (يعني أنصت واستمع) فإنه إما خيرٌ تؤمر به، وإما شرٌ تُنهى عنه.

قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا﴾ الدخول هنا بمعنى الإفاضة إلى الشيء، كما لو دخل الإنسان مع بابٍ فيدخل في الشيء بكله، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي

﴿السِّلْمِ﴾ والسلم هو الإسلام، قال سبحانه: ﴿كَافَّةً﴾ يعني جميعًا، فيدخل الإنسان في جميع هذا الدين دين الإسلام بحيث يعتقد ما جاء في هذا الدين، ويُنفذ الأوامر ويجتنب النواهي، فيؤمن بجميع ما أمر الله ﷻ أن يؤمن به وأمر به رسوله، ويعمل بكل ما أمر الله ﷻ به وأمر به رسوله من غير تفريق، لا يُفرق بمعنى أنه لا يأخذ بعض الإسلام الذي يوافق هواه ويترك بعض الإسلام الذي لا يوافق هواه، فمثلًا: نُهيَّ عن شرب الخمر في الإسلام، لا يترك الإنسان هذا الشيء يقول أنه لا يوافق هواه بمعنى أنه يشرب الخمر ويقول: لا أنتهي عنه، بل عليه أن ينتهي، أيضًا حُرم في الإسلام الربا فعليه أن ينتهي، وأيضًا أُمر في الإسلام بالصلاة والزكاة والحج فلا يُفرق، لا يقول: أعمل بالصلاة والحج وأترك الزكاة لأنها ثقيلة عليّ فيها مال، لا لا بد أن يعمل بجميع الإسلام، هذا معنى الآية الكريمة.

فالمؤلف أراد بهذا الدليل أن الإنسان عليه أن يدخل في الدين جميعًا.

قال: وقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[النساء: ٦٠].

في هذه الآية الكريمة ينبه الله ﷻ نبيه ويقول: انظر إلى هؤلاء الذي يزعمون ويدعون أنهم يؤمنون بما أرسلت به، ثم بعد ذلك يتحاكمون إلى الطاغوت يعني إلى غير حكم الله ﷻ، قيل: أن هذه الآية أنزلت في أحد المنافقين كما جاء عن الشعبي – رحمه الله- أنه اختصم يهودي ومنافق، فقال اليهودي: نترافع إلى محمد. علم أنه – عليه الصلاة والسلام- لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نترافع إلى اليهود. فاتفقا على أن يأتيا كاهنًا من جهينة فتقاضيا عنده، فأنزل الله ﷻ هذه الآية الكريمة، يعني انظر إلى حال هؤلاء يتركون الدين الذي جئت به حق من عند الله ﷻ ويتحاكمون إلى غير الله.

قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني ألم تنظر بقلبك، يعني ألم تعلم وتنظر بقلبك ﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ يعني يدعون ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أنهم فيها مؤكدات، فيها أن المُثقلة التي تدل على التوكيد، وفيها الضمير العائد إليهم ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني يدعون ويزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك يا محمد، ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني من

الله ﴿ﷻوَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني من الكتب والشرائع التي أنزلها الله ـسبحانه وتعالى- قبلك، فهؤلاء يدعون أنهم آمنوا بما أنزل إلى رسول الله ﷺ وأيضًا يدعون أنهم آمنوا بما أنزل إلى الأنبياء قبل النبي ﷺ، ثم بعد ذلك يتحاكمون إلى الطاغوت.

ففي الآية الكريمة أن مَن كان صادق في إيمانه فعليه أن يتحاكم إلى شرع الله، وعليه أن يلتزم بهذا الدين.

قال: وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩].

في هذه الآية الكريمة يُبين الله ـسبحانه وتعالى- إلى رسوله أن الذين كانوا أحزاب وتفرقوا وذهبت بهم الأهواء عن سنتك لست منهم في شيء، يعني هم بريئون منك وأنت بريء منهم.

قال ـسبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ يعني اتبعوا أهوائهم وابتعدوا عن الدين الحق، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يعني كانوا أحزاب متفرقة، بحيث كل واحد منهم يتبع هواه، فما تهواه نفسه من البدع يتبعها، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ هنا نفي ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ يعني أنت بري منهم وليسوا على الدين الحق والشريعة التي جئت بها؛ لأنهم ذهبوا بأهوائهم واتبعوا أهوائهم.

ففي الآية الكريمة أن الإنسان عليه أن يتبع النبي ﷺ، ويبتعد عن الهوى، ويدخل في الدين بجميع ما أُمِرَ به ونُهيَّ عنه.

قال المؤلف ـرحمه الله-: قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: ١٠٦]تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف.

في هذه الآية الكريمة التي فسرها ابن عباس ﷺ أنه بيّن أن الذين تسود وجوههم هم أهل البدع الذي تفرقوا ولم يأخذوا بكل هذا الدين، فتركوا من هذا الدين ما لا يوافق هواهم، قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف؛ يعني متمسكين بالسنة بسنة النبي ﷺ والائتلاف يعني الاتفاق على هذه

السنة، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف، أهل البدع الذين ابتدعوا في الدين ومع البدعة اختلفوا، وهذا التفسير منه ﷺ هو تفسير بالمثال وذلك أن الآية تشمل جميع مَن حاد عن دين الله ﷻ كاليهود والنصارى وغيرهم، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ يعني أهل الإسلام وأهل السنة، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني أهل الكفر والبدع المكفرة فيسود وجهه في هذا اليوم لأنه حاد عن دين الله -سبحانه وتعالى-، فمناسبة هذا التفسير أن الإنسان عليه أن يتمسك بالدين ويحذر من البدع.

قال: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل»يعني سيكون على هذه الأمة، وهذا خبر، «ليأتين على أمتي» والظاهر أنها أمة الإجابة، «ما أتى على بني إسرائيل» يعني قوم موسى ﵇،«حذو النعل بالنعل»يعني كما أن النعل تحاذي الأخرى ولا تخالفها كذلك هذه الأمة ستُحاذي تلك الأمة،«حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك»يعني حتى لو قُدِّر أن هذا حصل لحصل هذا أيضًا في هذه الأمة، وهذا فيه شدة الاتباع والموافقة، قال:«وإن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين ملة»يعني على اثنتين وسبعين فرقة، افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت اليهود على إحدى وسبعين،قال: «وإن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين ملةوتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»يعني كل هذه الفرق في النار أو متوعدة بالنار، قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». رواه الترمذي.

هذا الحديث حديث افتراق هذه الأمة حديث مشهور، وقد جاء من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحديث معاوية ﷺ وغيرهم من الصحابة، ولذلك صححه شيخ الإسلام والألباني وغيرهم من العلماء، وهذا فيه دليل على أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة لا بد أن يقع هذا لأن هذا أخبر به النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وقد وقع ذلك، افترقت هذه الأمة على فرق كثيرة وقد عدَّ العلماء هذه الفرق فبلغت الكثير ولكن الله أعلم هل بقي فرق لم تخرج أم جميع الفرق خرجت؟ هذا الله أعلم به، ولذلك قد يخرج فرق في المستقبل لا

نعلمها، وقوله: «كلها في النار إلا ملة واحدة» يعني كل هذه الفرق في النار، وهذه الفرق إن كانت قد خرجت من الدين بسبب البدعة فهم في النار خالدين، فإذا كانت البدعة كفرية فإن الإنسان يخلد في النار بسبب هذه البدعة، وإن كانت البدعة دون الكفر فإنهم متوعدون بالنار وهم كحال أهل الذنوب تحت المشيئة، هذا الأقرب والله أعلم، وليس المراد أن جميع الفرق الاثنين وسبعين كلها في النار خالدة في النار، ليس هذا المراد كما قال العلماء بل الظاهر والله أعلم أن هذه الفرق منها الكافر فهو خالد في النار، ومنها المبتدع الذي على الإسلام وهو متوعد بالنار، وقد يعفو الله ﷻ عنه.

قال: (وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق) يعني يتدبر هذا القول من النبي ﷺ كيف أن الأمة ستفترق، وقد وقع وافترقت الأمة، فخرجت الجهمية والخوارج والمعتزلة من أهل البدع، والرافضة وغيرهم، فافترقت هذه الأمة إلا مَن هدى الله ﷻ وثبته على الإسلام، وثبته على ما بُعِث به النبي ﷺ قولًا وعملًا واعتقادًا، فهي منة من الله ﷻ عليه، إذا ثبته على الدين الذي بُعِث به النبي ﷺ في اعتقاده وفي عمله وفي قوله فهو قد هداه الله ﷻ ومنَّ عليه.

قال: وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي». يعني ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولذلك النبي ﷺ بعثه الله ﷻ بالحق، وأرسله بالدين القويم، ثم إن الله –سبحانه وتعالى- اختار له أصحاب من خير البشرية، من خير الناس بل هم أفضل الناس بعد الأنبياء، فكانوا مُتبعين للنبي ﷺ قولًا وعملًا واعتقادًا، فمَن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو قد وفق إلى الهدى، ولذلك النبي ﷺ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»، فليتأمل هذه الكلمة من النبي ﷺ، فليتأمل ويحذر من البدع التي تخالف شرع الله ﷻ التي ابتدعها الناس من عقولهم فضلت بهم عن طريق الله، فابتدعوا البدع ثم اتُبِعوا على ذلك فمن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو على الهدى.

قال المؤلف –رحمه الله-: (يا لها من موعظة) يعني يا لها من تذكرة، كيف أن هذه الكلمة من النبي ﷺ قالها ! قال:(لو وافقت من القلوب حياة) لو كا القلب فيه حياة

والأنسان عليه أن يسأل الله ﷻ أن يهديه إلى الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قال المؤلف –رحمه الله-: (ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصححه) يعني هذا الحديث،(لكن ليس فيه ذكر النار، وهو في حديث معاوية (عند) أحمد وأبي داود وفيه: «أنه سيخرج من أمتي»يعني سيخرج من هذه الأمة، «أمتي قوم»يعني جماعة وأناس، «تتجارى بهم الأهواء» يعني تسير بهم تلك الأهواء، والهوى هو الميل إلى ما تهواه النفس بحيث أن يهوى شيء وهو يخالف شرع الله باعتقاده فيميل إليه، كأهل البدع مثلًا، أهل البدع عندهم هوى، فالرافضة مثلًا عندهم هوى؛ في الوقوع في الصحابة، وتعظيم آل البيت بغير ما أمر الله ﷻ به حتى جعلوهم آلهة مع الله ﷻ، فهم عندهم هوى، ولذلك صاحب الهوى مهما نصحته أو دعوته لا يسمع؛ لأنه قد أعماه هواه إلا أن يفتح الله ﷻ على قلبه، فيُدخل الهدى في قلبه، فعند ذلك يهديه الله ﷻ، ولذلك سيأتينا أن البدعة من أخطر ما يكون، قال: «تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب»الكلب هو داء يصيب الكلب، فيصبح إذا عضَّ الإنسان جرى هذا في جميع دمه، فيُصاب الكلب بمرض ثم إذا عضَّ الإنسان سار في جميع عروقه هذا الألم، كذلك هذه الأهواء ستسير في هؤلاء الفرق كما يسير هذا المرض في الدم المعضوض بهذا الكلب، قال: «بصاحبه، فلا يبقى منه عرق»يعني عرق في الإنسان «ولا مفصل»من مفاصله «إلا دخله»هذا المرض، فهذا تمثيل من النبي ﷺ أن هؤلاء أهل الأهواء سيسير بهم الهوى حتى يجري في جميع أعضائهم، وتغطي البدعة جميع عقله وتسري في عروقه، وتُعميه عن الحق، قال: وتقدم قوله: «ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية»ذكرها المؤلف –رحمه الله- فيما مضى.

المتن

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥].

الشرح

قال المؤلف ــرحمه الله-: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

مناسبة هذا الباب لفضل الإسلام: أن الإنسان إذا هداه الله ﷻ للإسلام وتمسك بجميعه ليحذر من البدع؛ لأن البدع أشد من الذنوب الكبائر، أشد خطرًا على الإنسان من الذنوب الكبائر، وذلك أن صاحب البدعة يرى أنه على الحق، وأنه يتقرب إلى الله ببدعته فيظن أن يقرب من الله وهو يبعد من الله، أما صاحب المعصية فإنه يكون في قلبه حزن وهم هذه المعصية فيرى أنه مقصر في جنب الله، ويخاف الله ﷻ، وهذا لا يكون في قلب المبتدع، هذا يدلك على شدة خطر البدعة.

قال: (باب ما جاء) يعني من النصوص والتحذير،(أن البدعةأشد) يعني البدعة أشد خطر(من الكبائر) يعني أشد خطر على الإنسان من الذنوب الكبائر.

والبدعة لغةً هي الاختراع، ومنه قوله ــسبحانه وتعالى-:﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٧] يعني الذي أنشأها ــسبحانه وتعالى- على غير مثالٍ سابق، وأما شرعًا فهي كل قولٍ وعملٍ واعتقادٍ يتقرب به الإنسان إلى الله ولم يشرعه الله، هذا معنى البدعة، والبدعة من أشد ما يكون خطرًا على الإنسان، والبدعة تنقسم إلى قسمين:

الأول: بدعة حقيقية أو أصلية وقد تكون في الاعتقاد كأن يبتدع في عقيدته، فيعتقد عقيدة ثم يعتقد أن هذه العقيدة تُقربه إلى الله، كفعل الخوارج مثلًا؛ يعتقدون أن فاعل الكبيرة كافر، فيستحلون دمه ويرون أنهم إذا قتلوا هذا الرجل المسلم أنهم يتقربون إلى الله بقتله، ويرون أنهم يؤجرون على قتل المسلم الفاعل لكبيرة، أيضًا كاعتقاد الجهمية مثلًا؛ يعتقدون أن الله ﷻ ليس له أسماء ولا صفات، ثم يتقربون إلى الله ﷻ بهذا الاعتقاد، هذه تسمى بدعة أصلية.

الثاني: بدعة زائدة وهي أن يزيد في دين الله، فيكون العمل مشروع ولكن يزيد فيه، كمَن يغلو مثلًا في الطهارة، كمَن يضيف إلى الشرع ما ليس منه، كمَن جعل صلاة الفجر أربع ركعات، هذه تسمى بدعة، وأيضًا قد يكون في الوقت، يوقت مكان يبتدعه من عند نفسه ، وأيضًا قد يكون في السبب فيجعل دخول البيت مثلًا سبب لصلاة ركعتين فيكون بدعة، وهذه تسمى بدعة زائدة.

والبدعة لها مفاسد عظيمة، وينبغي للمسلم أن يحذر منها أشد الحذر، فمن مفاسد البدعة: أنها تكذيبٌ لله -سبحانه وتعالى-، فعل المبتدع يتضمن تكذيب الله ﷻ؛ لأن فعل المبتدع كأنه في قرارة نفسه يقول الدين لم يكمل وأنا أريد أن أكمل هذا الدين بهذه البدعة، فيتضمن تكذيب الله ﷻ، وقد قال الله ﷻ:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[المائدة: ٣] الله ﷻ قد أكمل هذا الدين فلا نحتاج لبدعة، ولا نحتاج لزيادة، وهذا المبتدع بفعله كأنه يقول الدين لم يكمل أريد أن أزيدكم هذه البدعة حتى يكمل الدين، فهو يتضمن تكذيب هذه الآية الكريمة.

أيضًا من مفاسد البدعة: أنها تستلزم جعل الإنسان نفسه شريك لله ﷻ في التشريع؛ لأن الذي يشرع الأحكام ويفرضها على الناس هو الله وحده لا شريك له، والمبتدع يجعل نفسه مُشرع، وقد قال الله -سبحانه وتعالى-:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى: ٢١] فالمبتدع ببدعته يستلزم أن يجعل نفسه شريك لله تعالى.

وأيضًا من مفاسد البدعة: أنها تستلزم واحد من أمرين: إما أن يكون النبي ﷺ جاهل بهذه البدعة، أن النبي ﷺ جهل بهذا العمل والمبتدع علم بهذا العمل والنبي ﷺ ما يعلمه، ؛ لأن النبي ﷺ ما قال هذا الشيء، وهذا المبتدع علم بها ، وإما أن يكون النبي ﷺ علم بها ولكن كتمها ما بلغها للناس، فهو إما أن يصف النبي ﷺ بالجهل وإما أن يصف النبي ﷺ بالخيانة خيانة الرسالة -نسأل الله العافية-، هذا من أعظم مفاسد البدعة؛ لأن النبي ﷺ ما بلغ هذا الشيء، وهذا المبتدع يقول هذا يقرب إلى الله والنبي ﷺ ما قال ذلك.

فنقول له: هل النبي ﷺ جاهل بها؟ أم النبي ﷺ لم يبلغها؟

فهو لا يخرج من هذين الأمرين، يلزمه واحد من الأمرين، إما أن يقول النبي ﷺ علم بها ولكن ما بلغها، والله ﷻ أمر النبي ﷺ بالتبليغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٦٧]، وإما أن يصف النبي ﷺ بالجهل، والنبي ﷺ أعلم الناس بشرع الله، ولذلك جاء في الصحيح عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إني أتقاكم لله وأعلمكم به» فهو أعلم الناس بالله ﷻ، هذا يدلك على عظيم مفسدة البدعة.

أيضًا من مفاسد البدعة: أن المبتدع ببدعته ينشغل عن السنة؛ لأنه ما ابتدع قوم بدعة إلا وتركوا سنة، هذا أمر واقع وقد جاء في ذلك أثر أنه إذا وقع الناس في البدعة نُزعت منهم سنة، فإذا فعل الإنسان بدعة ترتب على ذلك أن يترك السنة، وهذا واقع فمثلا الذين ابتدعو المولد النبوي قد يتركون السنة، فتجد أن بعضهم يحلق لحيته، ويطول ثوبه، ويفعل المعاصي ويترك السنن ثم بعد ذلك يحتفل بالمولد النبوي، فيفعل البدعة ويترك السنة الثابتة.

والبدعة خطرها عظيم والسلف –رحمهم الله- شددوا في أمر البدعة، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: لأن البدعة أعظم من الذنوب، وأحب إلى الشيطان من الذنب؛ لأن المبتدع غالبًا لا يتوب، يبقى على بدعته حتى يموت إلا أن يمن الله ﷻ عليه، ولذلك جاء في الحديث الصحيح أنه: «لا توبة لمبتدع» بمعنى أنه لا يُوفق إلى توبة غالبًا يبقى على البدعة؛ لأنه يرى أنه يتقرب إلى الله فكيف يترك البدعة وهو يتقرب بها إلى الله؟ وأما المعصية فإن الإنسان يشعر بالذنب ويؤنبه ضميره ويعلم أنه قد خالف أمر الله ﷻ، فيتمنى التوبة.

الأمر الثاني: لأن البدعة سبب في خروج الإنسان من الدين، بحيث أنه يكفر بالإسلام ويخرج منه، كفعل الرافضة مثلًا خرجوا من الدين ببدعة، فاعتقدوا أن القرآن محرف، واعتقدوا أن الصحابة كفروا، واعتقدوا أن علي ﷺ يدعى من دون الله، وأن له ولاية تكوينية، وأنه يقول للشيء كن فيكون، وأن الإمام يعلم الغيب إلى غير ذلك من البدع الكفرية الصريحة (كفر صريح)، وأيضًا كفعل غلاة الجهمية، غلاة الجهمية وقعوا في الكفر حتى أنه قال الالاكائي خمسمائة عالم من علماء المسلمين كفروا الجهمية، بسبب البدعة، فالبدعة قد تقود الإنسان إلى الكفر، ولذلك

يحذر الإنسان منها، فالسلف شددوا في أمرها، فالمبتدع يبتدع البدعة ثم يزيد فيها، لذلك قال شيخ الإسلام: أن البدعة تكون شبر، ثم تكون ذراع، ثم تكون أميال. فتتمادا بالإنسان حتى يخرج عن الدين، ولذلك مر في الحديث أن النبي ﷺ قال: «تسري في البدن كوقوع الكلب في بدن الإنسان» فإذا سرت البدعة قد تخرج الأنسان من الدين، لذلك السلف شددوا فيها، ولذلك جاء آثار عن السلف في التحذير من البدعة والتحذير من المبتدعة ومن مجالستهم، قال الحسن –رحمه الله-: لا تجالسوا صاحب بدعة فإن مجالسته ممرضة للقلب. يقول لا تجالسوهم، فنهوا عن مجالسة أهل البدع.

وعن سفيان –رحمه الله- قال: مَن جالس صاحب بدعة لم يسلم من واحد من أمورٍ ثلاثة: إما أن يقع في قلبه شيء فيدخل بسببه النار، وإما أن يعتمد على نفسه فيُسلب منه الدين، وإما أن يغتر به الناس إذا رأوه مع المبتدعة، وأيضًا قال ابن كثير –رحمه الله-: مَن جالس صاحب بدعة نُزعت منه العصمة ووكل لنفسه، فحذر السلف من مجالسة أهل البدع ومخالطتهم، فقد يجالس الإنسان مبتدع فيُلقي عليه من الشبهات فيقع في قلبه ثم عند ذلك يعجز عن إخراج هذا الشيء، ولذلك دخل رجل على ابن سيرين وكان هذا الرجل من المبتدعة، فقال: أريد أن أقرأ عليك آية، فوضع أصبعيه في أذنيه، فقال: ولا آية، فلما خرج قيل لابن سيرين: ألست عالم عندك علم؟ قال: إني أخشى أن يقع في قلبي شيء فأعجز عن إخراجه، فلذلك يحذر الإنسان من مجالسة أهل البدع والاستماع إليهم خاصةً مع التواصل الاجتماعي مثل مقاطع الجولات، يسمع لهم وهذا قد يُشبه عليه في دينه، فيقول هذا المبتدع وقع من الصحابة كذا أو يسب عائشة –رضي الله عنها-، وأيضًا قد ينفي صفات الله ﷻ يقول معنى استوى الله على العرش معناه كذا، وكذا، أو مثلًا يؤنب على ولاة الأمر، فيقول: فعل الأمير كذا أو حصل من الأمير كذا، كالذي يوجد الآن فهؤلاء عليك أن تحذر الاستماع إليهم؛ لأن القلب قد يتشترب الفتنة، لذلك الإنسان ما يعتمد على نفسه بل يعتمد على الله ﷻ ويسأله العافية، وإذا كان قلبه صالح متقي فعليه أن يحذر ويكون في منأى عن هؤلاء.

والبدعة قد تكون مفسقة للإنسان، وقد تكون مكفرة، وليس البدعة على درجة واحدة، فمن البدع ما توصل الإنسان إلى الكفر، ومن البدع ما تُفسق الإنسان، والبدع

أعظم من الذنوب وأشد خطرًا، وذلك لأن المبتدع يعتقد أنه يتقرب إلى الله ﷿ بهذه البدعة فيعتقد مثلًا أن سب الصحابة يقرب إلى الله، يعتقد في قرارة نفسه أن سب أبي بكر يقربه إلى الله، وسب عمر ﵁ يقربه إلى الله، وأيضًا قد يعتقد أنه إذا دعى غير أنه يتقرب إلى الله، بسبب البدعة كعبادة القبور مثلا مع أن هذا شرك يبعده عن الله، فهي أعظم من الذنوب وأيضًا لأن صاحب البدعة يضيف هذه لبدعة إلى الشرع، فيقول: أنا متمسك بشرع الله، وهذا دين الله، يعتقد أن هذه البدعة دين الله، وأما العاصي فلا يضيف البدعة إلى دين الله بل يقول: أن الله ﷿ نهى عن هذا الشيء لكني اقترفت هذا الذنب، أما المبتدع فيقول هذا دين الله ويتمسك به، هذا فعل المبتدع، وأيضًا لأن المبتدع غالبًا لا يتوب، وسيأتينا قول المؤلف –رحمه الله- في الباب الذي بعده أن المبتدع الله احتجب عنه التوبة.

المتن

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

لقوله﷿: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

وقوله:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥].

وفي الصحيح أنه ﷺقال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتموهم لأقتلنهم قتل عاد».

وفيه أنه ﷺنهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

عن جرير بن عبد الله ﵁ أن رجلًا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله ﷺ: «مَن سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم.

وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «مَن دعا إلى هدى»، ثم قال:«ومَن دعا إلى ضلالة».

الشرح

قال المؤلف -رحمه الله-: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر.

تقدم بيان تعريف البدعة، والتحذير من البدع، وأنواع البدع ونحو ذلك.

قال المؤلف -رحمه الله-: لقولهﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

في هذه الآية الكريمة يُبين الله -سبحانه وتعالى- أنه لا يغفر الشرك، ويغفر ما دونه من الذنوب، المعاصي داخلة في قوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ﴾ يعني لا يتجاوز، وإن هنا توكيد، فهي إن المُثقلة التي تدل على التوكيد، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ﴾ يعني لا يتجاوز ولا يستر ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر تقديره إشراكًا، أي أن الله لا يغفر الشرك كبيره وصغيره، كثيره وقليله، المُشرَك به والمُشرَك فيه، فالشرك لا يغفره الله ﷻ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ والضمير عائد إلى الله ﷻ، أي أن يُشرك مع الله ﷻ غيره -سبحانه وتعالى-، قال: ﴿وَيَغْفِرُ﴾ يعني يتجاوز ويعفو ويغفر ﴿مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ دون الشرك، وهذه اللفظة يدخل فيها جميع الذنوب التي لا تصل إلى حد الشرك، فجميع المعاصي الكبائر داخلة في هذه اللفظة الكريمة، قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ﴾ هنا شرط ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب مشيئته -سبحانه وتعالى-، ليست المغفرة لكل مذنب عمل المعاصي ولم يتب منها، بل لمَن شاء الله ﷻ، ومشيئة الله -سبحانه وتعالى- مقترنة بالحكمة، فهو حكيم -سبحانه وتعالى-، قد يغفر لأقوام وإن ماتوا على المعاصي ولم يتوبوا، وقد يُعذب أقوام ماتوا على المعاصي دون الشرك ولكن يكون مآلهم إلى الجنة.

هذه الآية الكريمة فيها تحذير بأن المغفرة ليست لكل مَن مات وهو لم يُشرك، بل هي مقيدة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يعني لمَن يشاء الله ﷻ، في هذه الآية الكريمة بيان أن الله لا يغفر أن يُشرك به، وكأن المؤلف والله أعلم

أراد أن البدعة نوع من الشرك، لأن المبتدع يجعل نفسه شريك لله في التشريع، ولذلك ذهب بعض العلماء أن البدعة لا تُغفر، ولذلك توعد النبي ﷺ المبتدع بالنار، فمن العلماء مَن قال أن البدعة لا تُغفر، لا تدخل في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾فهي نوع من الشرك؛ لأن الله ﷻ قال:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى: ٢١] والقول الثاني وهو الأقرب والله أعلم: أنها داخلة في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ولكن هذه البدعة التي لم توصل صاحبها إلى الكفر؛ لأنه تقدم أنه من البدع ما تكون كفر فهذه لا تدخل في قوله: ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ بل هي لا تُغفر، لأنها كفر أو شرك فهذه لا تُغفر، أما إذا كانت دون الكفر فإنها داخلة فيما دون ذلك، ولكن المبتدع على خطر لأن النبي ﷺ أخبر أنه متوعد بالنار، قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار» هذا توعد بالنار، ولذلك هذا الحديث جعل بعض العلماء يرى أن صاحب البدعة لا يدخل في الوعد بالمغفرة، ولكن الأقرب والله أعلم أنه على خطر عظيم، ولكنه يدخل في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إذا كانت البدعة دون الشرك والكفر.

قال المؤلف –رحمه الله-: وقوله:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٤٤].

في هذه الآية الكريمة يُبين الله –سبحانه وتعالى- أنه لا أحد أظلم ولا أكثر ظلم من مَن افترى على الله الكذب، فزعم أن الله ﷻ شرع هذا العمل ولم يشرعه، أو زعم أن الله قال هذا الشيء ولم يقله، يريد بذلك إضلال الناس،وأن يتيهوا عن طريق الله المستقيم، هذا لا أحد أظلم منه.

قال –سبحانه وتعالى-:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ هذا استفهام يعني لا أحد أظلم من هذا الشخص، لا أحد أشد ظلمًا من هذا الشخص، والظلم في اللغة هو وضع الشيء في غير موضعه، قال: ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ من شخص افترى يعني اختلق على الله الكذب، فزعم أن الله ﷻ شرع هذه العبادة، وهذه الآية الكريمة يدخل فيها المبتدع؛ لأن المبتدع يقول أن هذا من شرع الله، فالمبتدع يقول أن الله ﷻ شرع هذه

العبادة، فمثلًا الذين يحتفلون بمولد النبي يزعمون أن الله ﷻ شرع هذه العبادة، مَن قال ذلك فهو يفتري على الله كذبًا، وهو داخل في هذه الآية الكريمة، وأيضاً لا أحد أظلم وأشد مَن افترى على الله كذبًا وزعم أن له ولد أو له شريك، فهذا من أعظم الناس جرمًا، ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾يعني اختلق على الله كذبًا، والكذب هو مخالفة الواقع، هذا يسمى كذب، ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾ يعني ليجعل هذا الكذب سبب في ضلال الناس، ويقول أن الله ﷻ شرع هذه العبادة فاعملوا بها، فيكون سبب في ضلال الناس، ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني بغير فقه، فهو يُضل الناس وهو على غير علم ولا يعلم ما يترتب على عمله هذا من الشر.

وفي الآية الكريمة تحذير للمبتدع أن يفتري على الله ﷻ الكذب ثم يأمر الناس بالعمل بها، فعليه أن يحذر.

قال: وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥].

في هذه الآية الكريمة يُبين الله –سبحانه وتعالى- أن الذين افتروا على الله ﷻ، وعملوا بالمعاصي أو ابتدعوا أنهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم، وأيضًا يحملون ذنوب الذين اتبعوهم في هذه البدع وهذه المعاصي، ثم بيّن أن هذا العمل سيء، قال –سبحانه وتعالى-: ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ يعني ليكون عاقبة أمرهم، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ يعني ذنوبهم ليحملوها، والوزر هو الذنب، والحمل يعني الثقل الذي يحمله الإنسان على ظهره، ولذلك الذنوب حمل يحملها الإنسان على ظهره، فإذا تاب ذهب عنه هذا الثقل، ولذلك العاصي والمبتدع محمل وثقيل بالذنوب، فإذا تاب تاب الله ﷻ عليه فذهبت هذه الذنوب الثقيلة على ظهره، قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ يعني تامة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني يوم الجزاء والحساب، فيأتون بها تامة يحملونها على ظهورهم لم ينقص منها شيء، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ يعني وذنوب الذين يضلونهم يعني كانوا سبب في ضلالهم، الذين اتبعوهم، المبتدع مثلًا يبتدع البدعة ثم يحمل الذنب على ظهره ثم يتبعه الناس فيحمل أوزارهم؛ لأنه هو الذي سنَّ هذه المعصية أو هذه البدعة، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني بغير فقه وحذر مما

يترتب عليه هذا العمل، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ يعني بئس ما يحملونه ويزرونه على ظهورهم.

في الآية الكريمة تحذير للمبتدع أن يبتدع بدعة ثم يكون سبب في ضلال الناس، فإنه يحمل وزره ووزر الذين اتبعوه، ولذلك الذي يبتدع البدعة ثم يُتبع عليها يحمل أوزار الناس الذين اتبعوه وذنوبهم.

قال المؤلف –رحمه الله-: وفي الصحيح أنه ﷺقال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتموهم لأقتلنهم قتل عاد».

قال: (وفي الصحيح) يعني في صحيح البخاري، (قال في الخوارج) الخوارج هم من المبتدعة، والخوارج هم الذين خرجوا على علي ﷺ، خرجوا عليه وقاتلوه ﷺ، والنبي ﷺ أخبر أن هؤلاء الخوارج سيخرجون، وسموا خوارج؛ لأنهم خرجوا على الإمام وخرجوا على المسلمين، يرون أنهم كفار فهم خوارج، والخوارج من المبتدعة؛ لأنهم ابتدعوا وظنوا أنهم على حق ثم خرجوا وقاتلوا علي الذي بشره النبي ﷺ بالجنة، بل وقتلوا عثمان قبل علي، وهو الذي قال النبي ﷺ فيه: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوة تصيبه».

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا أرادك المنافقون على نزع ما ألبسك الله ﷻ فلا تنزعه» يعني الخلافة، فالخوارج خرجوا بسبب ما وقع لهم من الشبهة، ولذلك أمر النبي ﷺ بقتالهم، بل إن النبي ﷺ رتب الأجر على قتالهم، ولذلك جاء في الحديث أنه «طوبى لمَن قتلهم، وطوبى لمَن قتلوه»، والخوارج ذكر النبي ﷺ لهم صفات، فمن صفات الخوارج:

أنهم صغار في السن؛ يعني حدثاء الأسنان في السابعة عشر، في الثامنة عشر، في العشرين، تجد أنهم صغار.

أيضًا من صفاتهم: أنهم ضعفاء في العقول، عندهم طيش وعدم انتباه لمآلات الأمور، فلا ينتبهون لما يحصل من فساد من فعلهم، فعندهم طيش وضعف في العقل وعندهم تسرع.

أيضًا من صفاتهم: أنهم يستدلون بالكتاب والسنة؛ تجد أنه يقول قال الله، قال رسوله، فيستدل بالكتاب والسنة، ولذلك جاء عند البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «يخرج في أخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز الإيمان حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجر لمَن قتلهم يوم القيامة».

أيضًا من صفاتهم: أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، تجد أن الخوارج في كل زمان ومكان يخرجون على أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يدعون اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ثم ينقلبون على أهل الإسلام؛ لأنهم يقولون أن المرتد أشد كفرًا من اليهود والنصارى، فهم يرون أن المسلم الذي يفعل كبيرة يكفر، وعلى هذا يقولون هو ارتد فيجب أن نقتل هذا الرجل، لأن النبي ﷺ قال: «مَن بدَّل دينه فاقتلوه» فيرون أن قتل هذا ألزم من قتل الكفار الأصليون، ولذلك جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» يتركون الذين يعبدون الأوثان والشرك، وينقلبون على أهل الإسلام.

ومن صفاتهم: أنهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الكفار يصرفونها إلى المسلمين، فيرون أن قاتل النفس خالد مخلد في نار جهنم، فيحملون الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين، ولذلك قال ابن عمر ﷺ: انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. رواه البخاري.

فهذا من صفاتهم أنهم يرون أن الآيات التي في الكفار هي في المسلمين فيصرفونها إليهم، ولذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[الجن: ٢٣]، هذه الآية الكريمة في أهل الشرك؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ هم جعلوا هذا على أهل الإسلام، فقالوا: مَن يعصي فهو كافر؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ فقالوا: إذًا مَن عصى الله ﷻ فهو كافر، فهو خالد مخلد في النار، هذا كما قال ابن عمر ﷺ أنهم جعلوا الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين.

أيضًا من صفاتهم: الكبر والغرور، فتجد أن الخوارج فيهم كِبر وغرور وتنقص لأهل العلم، فيرون أن العلماء لا يعرفون الواقع، وأنهم علماء حيض ونفاس لا

يعرفون الواقع ولا يعرفون الأمور والحقائق، يعني ما يعرف العالم، ما عنده علم، هم يرون هذا الشيء، ولذلك جاء عند الإمام أحمد أنه ﷺ قال: «إن فيكم قوم يتعبدون حتى يُعجب بهم الناس وحتى تُعجبهم أنفسهم» يُعجب بنفسه، ويرى أن له منزلة، وأنه أعلم من العلماء، قال -عليه الصلاة والسلام-: «يمرقون من الدين مرق السهم من الرمية» لذلك تجد أن الخوارج يتنقصون أهل العلم، هم تنقصوا علي، وتنقصوا غيره من الصحابة -رضي الله عنهم- ، ولذلك لما جاء ابن عباس ﷺ يناظر الخوارج قال بعضهم (أحد الخوارج): لا تستمعوا له فإن هذا من قريش الذي أخبر الله ﷻ أنهم كثيرين الجدل. يقوله لابن عباس حبر هذه الأمة، والعجيب أن هذا الرجل استمع فهداه الله ﷻ بسبب ابن عباس، ولذلك يقول أحد السلف: أتيت إلى بعض الخوارج فقلت: أسألك بالله كيف تنظر إليّ؟ قال: والله إني أنظر إليك أنك أحقر من كذا وكذا، وأني أفضل منك وأحسن منك. فلذلك تجد أن عندهم كِبر وغرور.

ومن صفاتهم: أنهم يحسنون القيل والقال؛ فتجد أن عندهم فصاحة، وأنهم يُبينون الكلام، ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يحسنون القيل والقال» فهذا من صفاتهم ، ولكن هذا الغالب وقد يوجد ممَن ينتسب إلى الخوارج مَن يكون عنده ذنوب ومعاصي، ولذلك وجد من الخوارج مَن يشرب الخمر ويشرب الحشيش ونحوه، ولكن هذا الغالب كما أخبر النبي ﷺ.

ومن علاماتهم أيضًا: تكفير المسلم بالكبيرة؛ مَن يفعل الكبيرة يكفر عندهم، وذلك أن الإيمان عندهم كتلة واحدة إما أن توجد وإما أن تنتفي وليس هناك زيادة للإيمان أو نقص، الخوارج ما عندهم زيادة إيمان أن نقص، إما أن يكون مسلم وإما أن يكون كافر، ولذلك أمر النبي ﷺ بقتالهم، ولذلك قال: «أينما لقيتموهم» أينما ظرف مكان، يعني في أي مكان وجدتموهم فيه، «فاقتلوهم» يعني أزهقوا أرواحهم، وفرق بين القتل والمقاتلة، القتل يعني إزهاق الروح، والمقاتلة هي المدافعة، قال: «فاقتلوهم لئن لقيتموهم» يقول النبي ﷺ لئن قدر أن ألقاهم «لأقتلنهم قتل عاد» يعني باستئصال، يعني لأخذنهم أخذًا شديد، وقتل عاد يعني باستئصال، هذا يدلك على شدة خطر هؤلاء المبتدعة الذين ابتدعوا في الدين، ولكن هؤلاء يستحلون دماء المسلمين عن تأويل، وبعض العلماء يرون أنهم كفار؛ لأن النبي ﷺ قال: «يمرقون من الدين

مرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون إليهم»، والجمهور على أنهم مسلمون ولكنهم مبتدعة وهذا هو الأقرب والله أعلم، لأن عندهم تأويل ولذلك علي ﷺ لما سئل: أكفار الخوارج؟ قال: من الكفر هربوا، ثم قال في آخر: بل إخواننا بغوا علينا. ولذلك ابن ملجم الذي قتل علي ﷺ كان يريد الجنة بقتل علي ﷺ، حتى أنه لما ضرب علي ﷺ قال علي ﷺ: إن مت فاقتلوه. فمات علي ﷺ فأخذوه فقطعوا أعضاءه، فلما وصلوا إلى لسانه بكى، قالوا: لمَّ تبكي؟ قال: أبكي لأني سيمر علي وقت لا أذكر الله فيه. فيدلك على شدة خطر البدعة إذا توغلت في الإنسان، أنه يرى أنه على حق وإن كان على خطأ، والمؤلف –رحمه الله- أراد أن يحذر من البدع، ومن ذلك بدعة الخروج.

قال المؤلف –رحمه الله-: وفيه أنه ﷺنهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

أمراء الجور يعني الأمراء الظلمة، نهى النبي ﷺ عن قتالهم إذا أقاموا الصلاة، الأمراء مهما حصل منهم من معاصي وذنوب فإنه لا يجوز أن يقاتلون، لا يجوز أن يُخرج عليهم؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، قال: (وفيه) يعني في الصحيح، (أنه نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا) وقوله: (ما صلوا) دل على أن الصلاة تركها كفر، لأنه جاء عنه –عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «لا تخرجوا إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان» فدل على أن ترك الصلاة كفر.

ففيه أنه ﷺ نهى عن قتال أمراء الجور يعني الأمراء الظلمة، ولذلك مهما حصل من الأمراء فلا يجوز الخروج عليهم؛ لأن قتال الأمراء فيه شر، ولو كان هناك ظلم فخرجت صارت المعصية أعظم، وصار الخطأ أعظم.

قال المؤلف –رحمه الله-: عن جرير بن عبد الله ﷺ أن رجلًا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله ﷺ: «مَن سنّ في الإسلام سنة حسنة».

هذا الحديث له سبب وذلك أن النبي ﷺ أتاه رجال مجتابي النِمار، وكان فيهم فقر فرآهم النبي ﷺ فتغير وجهه –عليه الصلاة والسلام- حزنًا عليهم، ثم إن رجل أتى بسرة أثقلت يده بل لم تستطع يده أن تحملها ثم لما رأى الناس هذا تتابعوا فسُر النبي ﷺ فقال: «مَن سنّ في الإسلام سنة حسنة» يعني مَن ابتدء العمل بسنة حسنة، «فله

أجرها وأجر مَن عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» يعني يكون له مثل الأجر مع أن هذا العامل لا ينقص من أجره شيء، قال: «ومَن سنّ في الإسلام سنة سيئة» هذا يدخل فيه المبتدع، قال: «ومَن سنّ في الإسلام سنة سيئة» يعني ابتدع بدعة أو عمل معصية أو اخترع ما يُعمل به المعاصي، قال: «كان عليه وزرها» يعني ذنبها، «ووزر» يعني ذنب، «مَن عمل بها» يعني مَن عمل بمثل ما عمل هذا، «من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». رواه مسلم.

ففي هذا الحديث فوائد:

من فوائد الحديث: فضل السنة الحسنة في الإسلام، فمَن عمل بسنة مشروعة ثم عمل الناس بمثل ما عمل به فإن له مثل أجورهم، فلو أن الإنسان أحيا سنة نُسيت في بلد ثم عمل جميع هذا البلد بهذه السنة، فإن له مثل أجورهم، هذا يدلك على فضل تعليم الناس العلم، وفضل نشر العلم، وفضل نشر السنن، ولذلك يقول العلماء أن النبي ﷺ له مثل جميع أجور أمته، ما يعمل أحد في الأمة إلا وللنبي ﷺ مثل أجره، فانظر إلى هذه الأجور العظيمة، لأنه –عليه الصلاة والسلام- هو الذي دل الأمة على هذه الحسنات، وأيضًا يدلك على فضل العلم؛ لأن الإنسان إذا علم الناس وعملوا بما قال فإن له مثل أجورهم، وقوله: «مَن سنّ في الإسلام سنة حسنة» هل يدل على أن هناك سنة حسنة وهناك سنة سيئة؟ وأن السنن تقسم إلى أقسام؟ الجواب: لا لا يدل على هذا، لأن سبب الحديث ابتداء عمل بسنة وجدت قبل ذلك وليس اختراع سنة، وذلك أن قوله: «مَن سنّ في الإسلام سنة حسنة» وهذا يُفسر بواحد من أمورٍ ثلاث:

الأول: أنه ابتدء العمل بها، وإن كانت هذه السنة شُرِعت قبل عمله، فهذا الرجل الذي تصدق، هذه الصدقة هي مشروعة في شرع الله، فهو ابتدء بها ، فقال النبي ﷺ: «مَن سنّ في الإسلام سنة».

والثاني يُفسر بأنه أحيا سنة أُميتت أو ماتت ونسيها الناس، فهذا يسمى سن في الإسلام سنة حسنة، يعني أحياها بعد ما كادت تُنسى، فمثلًا إنسان أخبر الناس أن من سنن الصلاة رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، وعند الخفض، وعند الرفع، وهؤلاء الناس لا يعرفون هذه السنة فهذا سن في الإسلام سنة حسنة، يعني أحيا سنة مشروعة قبل قوله.

أيضًا قد يُفسر بأنه وضع وسيلة توصل إلى سنة مشروعة، مثل: بناء المدارس، ومثل: تأليف الكتب، هذا يسمى سن في الإسلام سنة حسنة لأنها توصل إلى مشروع، وعلى هذا ليس هناك سنة حسنة، وسنة سيئة ، هذا لا يوجد؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن البدع ضلال «كل بدعة ضلالة» فمَن ابتدع شيء في الدين لم يشرعه الله ﷻ فهو ضلال.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحذر من أن يسن في الإسلام سنة سيئة، كأن يبتدع بدعة مثلًا ثم يُعمل بها، كمثلًا أن يبتدع بدعة فيُعمل بها من بعده، هذا يحذر منها الإنسان أشد الحذر، مثلًا ، مثل بدعة الخوارج، مثل بدعة الجهمية، مثل بدعة الروافض وهكذا، فهذا يبتدعها شخص ثم يُعمل بها من بعده فهو عليه وزرها ووزر مَن عمل بها، فمثلًا الذي ابتدع بدعة الجهمية مثلًا، أول مَن عمل بها رجل ابتدع هذه البدعة فهو عليه وزرها، وقد يكون عليه أوزار مَن عم بها من بعده وهكذا.

المقصود أن الإنسان يحذر من أن يبتدع بدعة، وأيضًا يحذر من أن يسن المعاصي فيكون السبب في وقوع شخص في معصية، أو أشخاص في معصية، مثلًا الذي ينشر في هذه الجوالات ينشر الغناء مثلًا أو ينشر النساء المتبرجات فهذا عليه وزرها ووزر مَن شاهدها وسمعها إلى يوم القيامة أو إلى أن تنتهي، هذا أمر خطير، فمثلًا الآن في الوقت الحالي يضع في هذه الجوالات صور نساء عاريات مثلًا ثم ينظر إليها ثم ينشرها، فهذا كل مَن رأى هذه المعصية فعلى هذا الشخص مثل الذنب، هذا يدلك على شدة خطر هذه الجوالات، وشدة خطر الذين ينشرون المعاصي، فالإنسان كونه يعصي بنفسه هذا ذنب وأيضًا كونه سبب في نشر معاصي أشد في ذنبه ومعصيته، فمثلًا الإنسان يسمع الغناء في هذا الجوال، الغناء محرم ثم ينشره فهذا كل مَن سمع هذه الأغنيه عليه مثل وزره، لو سمع مائة ألف عليه سيئات مائة ألف، سمع أكثر عليه أكثر، هذا يدلك على أن الإنسان يحذر من السنة السيئة في الإسلام.

قال المؤلف –رحمه الله-: وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «مَن دعا إلى هدى»، ثم قال:«ومَن دعا إلى ضلالة».

وهذا قريب من معنى الحديث الأول، ولكن قوله: «مَن دعا إلى هدى» هذا يدلك على الدعوة إلى التوحيد، والعقيدة الصحيحة، والدعوة إلى محاسن الأخلاق، والدعوة إلى اتباع النبي ﷺ، وما ينفع الناس في دينهم فيكون له مثل أجور مَن عمل بهذه الأعمال، قال: «ومَن دعا إلى ضلالة» دعا إلى شرك أو كفر أو فسوق أو عصيان فإن عليه المعصية وعليه معصية مَن عمل بمثل ما عمل به.

المتن

باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة

هذا مروي من حديث أنس ومن مراسيل الحسن. وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأيا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت أشعرت أن فلانا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه». وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: لا يوفق للتوبة.

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة

مناسبة هذا الباب: أن المبتدع قد يُصرف عن التوبة؛ لأنه يرى أنه على حق فكيف يتوب الإنسان من حق؟ هل من العقل أن يتوب الإنسان من الحق؟ الغالب أنه ما يتوب؛ لأنه يرى أنه على حق.

قال: (باب ما جاء أن الله احتجز) يعني منع،(التوبة) يعني الرجوع إلى الله ﷻ،(على صاحب البدعة) يعني عن عامل البدعة، صاحب يعني الملازم لها، قال: (هذا مروي من حديث أنس) يعني ورد في حديث أنس، ولفظه (أن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة)، وفي لفظٍ (حجب التوبة)، وفي لفظٍ (احتجب الله التوبة). رواه الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن أبي موسى وهو ثقة، قال النسائي: لا بأس به، هذا الحديث حسنه ابن المنذر، وحسنه الألباني وله شواهد، ففيه أن صاحب البدعة يُمنع التوبة فيُصرف عنها ولا يوفق إليها غالبًا.

قال: (وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأيًا) يعني يرى رأي الخوارج،(فتركه) يعني ترك هذا الفكر،(فأتيت محمد بن سيرين) من أفضل التابعين،(فقلت: أشعرت) يعني ما نظرت، ألم يأتيك هذا الخبر؟(أن فلانا ترك رأيه؟) يعني ترك الفكر الذي كان عليه؟(قال: انظر إلى ماذا يتحول؟) يعني من هذا الفكر انظر إلى ماذا ينتقل إليه، قال:(إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله) آخر الحديث جاء فيه عن النبي ﷺ أنه قال:«يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه» ففي الحديث أنهم إذا خرجوا هؤلاء الخوارج من الإسلام لا يعودون إليه، يعني إذا خرجوا من العقيدة الصحيحة لا يرجعون إليها، قال: :«يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه»فاستدل ابن سيرين –رحمه الله- في هذا الحديث على أن الخارجي أو هذا المبتدع لا يتوب.

قال: (وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: لا يوفق للتوبة) يعني صاحب البدعة لا يوفق إلى توبة، ووجه ذلك أنه يرى أنه على حق، صاحب البدعة يرى أنه على حق فكيف يتوب من الحق؟ يعني الخارجي يرى أنه يقاتل المسلمين على عقيدة صحيحة، ويرى انه مصيب وأن له أجر، ولذلك الخوارج لما قاتلوا علي رضي الله عنه يقولون بعضهم لبعض هلموا إخواننا إلى الجنة، لا تنأوا عن الجنة، في قتال مَن؟ قتال علي، كيف الجنة في قتال علي رضي الله عنه؟ ولذلك يحذر الإنسان من هذه البدع؛ لأنه إذا وقع في البدعة فإنه غالبًا لا يتوب، ولكن هذا على الغالب لأنه وجد من أهل البدع مَن تاب ورجع إلى الله عز وجل، بل إن من أهل البدع مَن توغل في البدع، ووصل إلى منتهى البدعة ثم أن الله عز وجل منَّ عليه فتاب ورجع إلى الله.

ومن الذين تابوا إلى الله عز وجل: الرازي، كان من أهل الكلام بل كان من أهل الفلسفة، وتوغل في هذا العلم وبحث فيه، ثم إن الله عز وجل منَّ عليه في أخر حياته فتاب، فأنشد أبيات يقول:

نهايـــــــــة أقـــــــــدام العقـــــــــول عِقـــــــــالُ
وأكثـــــــر ســـــــعي العـــــــالمين خـــــــرابُ
وأرواحنـــــا فـــــي وحشـــــة مـــــن جســـــومنا
وغايـــــــة دنيانـــــــا أذى ووبـــــــالُ
ولـــــم نســـــتفد فـــــي بحثنـــــا طـــــول عمرنـــــا



إلا أن جمعنـــــا فيـــــه بـــــين قيـــــل وقـــــالوا

يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليل، ولا تُشفي عليل، ورأيت أن خير الطرق وخير المناهج منهج القرآن، أقرأ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥] فأقول استوى كما قال، وأقرأ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١] أقول لا شبيه له، ومَن جرب مثل تجربتي لعرف مثل معرفتي.

فهذا منَّ الله ﷻ عليه في أخر حياته، وأيضًا ممَن قيل أنه تاب أبو المعالي الجويني، فكان في أخر حياته يقول: أموت على عقيدة نساء نيسبور ، يعني أخذ عقيدة عجوز كبيرة في السن خير لي من هذه العقيدة التي كنت عليها، فلذلك قد يتوب أهل البدع ولكن الغالب أنه لا يتوب؛ لأنه يرى أنه على حق، وفيه أن الإنسان يحذر البدع.

المتن

باب قول الله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾[آل عمران: ٦٥]

قول الله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾[آل عمران: ٦٥] - إلى قوله -:﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧]. وقوله:﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠]. وفيه حديث الخوارج وقد تقدم، وفي الصحيح، أنه ﷺقال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما أوليائي المتقون» وفيه أيضًا عن أنس: أن رسول الله ﷺذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر; أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال ﷺ: «لكنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم فمَن رغب عن سنتي فليس مني».

فتأمل إذا كان بعض الصحابة–رضي الله عنهم- أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوبًا عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع، وما ظنك بغير الصحابة؟

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: باب قول الله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾[آل عمران: ٦٥]إلى قوله:﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧]

في هذه الآية الكريمة يقول الله ﷻ لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى كيف تجادلون في إبراهيم، وتقولون أنه منا، والتوراة والإنجيل ما نزلت الا بعد إبراهيم عليه السلام، فرد الله –سبحانه وتعالى- عليهم.

ومناسبة هذه الآية الكريمة للباب الذي أراد المؤلف–رحمه الله- أن المسألة ليست بالدعوة، كأن يقول مثلًا: أنا من أتباع محمد ﷺ وهو مبتدع، أو يقول أنا على مذهب أهل السنة والجماعة وعنده ما يخالف اعتقاد أهل السنة والجماعة، فالمراد أن الشيء ليس بالدعوة وإنما هو بالعمل، فمَن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو المُتبع حقًا، وأما مَن كان مبتدعًا فإنه لا ينفعه أن يقول أنا على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولذلك أتى المؤلف –رحمه الله- بهذه الآية الكريمة.

قال المؤلف –رحمه الله-: وقول الله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾[آل عمران: ٦٥]

هذا نداءٌ من الله –سبحانه وتعالى- لأهل الكتاب، يعني يا أصحاب الكتاب، والكتاب هنا المراد به التوراة والإنجيل، المراد بهم اليهود والنصارى، يقول الله ﷻ لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ يعني كيف تجادلون فتحاجون في إبراهيم عليه السلام، فاليهود تقول: هو منا يهودي، والنصارى تقول: هو منا نصراني، والله ﷻ رد عليهم، يقول: إبراهيم بُعث قبلكم قبل أن يُبعث موسى وعيسى فكيف تدعون أنه منكم؟ تقولون هو متبع لنا، هذا باطل لأن إبراهيم كان قبل موسى وقبل عيسى -عليهم الصلاة والسلام- وعلى إبراهيم –الصلاة والسلام- أيضًا، فالمراد أن إبراهيم عليه السلام بُعث قبل موسى وعيسى فكيف يكون هو متبع لهم؟ فكيف يدعون هذا الشيء.

إلى قوله:﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧]

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ يقول الله ﷻ إن التوراة والإنجيل أُنزلت بعد إبراهيم فكيف تدعون أنه منكم؟

بمعنى أن المُتبع يكون متبع لمَن قبله، وإبراهيم قبل موسى وعيسى فكيف يتبع مَن هو بعده؟ الأصل أن الإنسان يتبع مَن قبله لا يتبع مَن بعده، فرد الله –سبحانه وتعالى- عليهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال –سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ فرد الله –سبحانه وتعالى- عليهم وبين أنه كان على عقيدة التوحيد والإسلام ولم يكن من المشركين أبدًا لا في الماضي ولا في المستقبل ولا في الحاضر.

قال المؤلف –رحمه الله-: وقوله:﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

في هذه الآية الكريمة يُبيّن الله –سبحانه وتعالى- أن مَن حاد وابتعد عن ملة إبراهيم فإنه قد سفه نفسه، يعني أضاع نفسه وسفهها، والسفه هو فعل الخطأ وهو ينظر، يفعل الخطأ وهو ينظر إليه، هذا هو السفه بمعنى أن يعمل المعصية وهو يعلم أنها معصية، قال: وقوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾ يعني ينأى عنها، يقول: رغبت في كذا، ورغبت عن كذا، فقوله: رغبت في كذا يعني أحببت كذا، وإذا قال: رغبت عن كذا يعني تركته وابتعدت عنه.

قال –سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾ يعني يبتعد، ﴿عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني عن دين إبراهيم، الملة هي الدين، وإبراهيم ﷺ هو أبو الأنبياء –عليه الصلاة والسلام-، وخليل رب العالمين، والذي كان حنيفًا موحدًا، وكان على عقيدة التوحيد، وكان على الإسلام، قال: ﴿عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يعني مَن أضاع نفسه وأوقعها في السفه، والسفه هو الميل عن الحق وهو يراه هذا يسمى سفه، يرى الحق ويتركه، ويرى الباطل ويقع فيه وهو ينظر إليه هذا يسمى سفه، فمَن عصى الله ﷻ وهو يعلم أن هذه معصية ويقع فيها فهو سفيه، ولو كان من أعقل الناس، ومَن ابتعد عن المعصية وتركها لله فهو من أعقل الناس، والسفه يكون في الدين، ويكون في الخلق، ويكون في المال:

السفه في الدين؛ أن يحيد عن الإسلام، هذا أعظم السفه، أن يحيد عن الإسلام ويتبع ملل الكفر بشتى أنواعها، هذا يُسمى أعظم السفه، الذي يحيد عن دين الله –سبحانه وتعالى- الحق ويتبع الأديان الباطلة هذا أعظم السفه.

الثاني: السفه في الخلق؛ وهو أن يأتي ما لا يُجمله عند الناس.

الثالث: السفه في المال؛ وهو أن يُضيع المال في ما لا فائدة فيه، هذا يسمى سفه في المال أويضيع المال في المعاصي أو ما أشبه ذلك، هذا يسمى سفه في المال.

قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ لقد في القرآن تدل على التوكيد، من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: القسم المُقدر.

الثاني: (قد) تدل على التوكيد.

الثالث: اللام فهي تدل على التوكيد من ثلاثة وجوه.

قال: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ يعني اخترناه، اختاره الله –سبحانه وتعالى-، ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني إن الله –سبحانه وتعالى- اختاره في الدنيا، فجعله خليله، وجعله إمام الموحدين، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني في الدار الآخرة من الصالحين من جملتهم، والصالحون يشمل الأنبياء والصديقون والشهداء، وأكثر الناس صلاحًا هم الأنبياء والرسل، فإبراهيم صالح وهو قبل ذلك نبي، وقبل ذلك رسول، وقبل ذلك خليل، فاجتمعت فيه هذه الأمور التي اصطفاه الله ﷻ بها.

ففي الآية الكريمة أن مَن حاد عن دين إبراهيم الذي هو التوحيد فقد سفه نفسه، ولذلك على الإنسان أن يكون على العقيدة التي كان عليها إبراهيم ﷺ من التوحيد وتعظيم الله ﷻ.

قال: وفيه حديث الخوارج وقد تقدم.

يعني في النهي عن البدع ونحو ذلك.

قال: وفي الصحيح، أنه ﷺقال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما أوليائي المتقون».

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف –رحمه الله- فيه أن النبي ﷺ إنما يتولى أهل التقوى فيحبهم ويواليهم، ويكون معهم –عليه الصلاة والسلام-، ولا يوالي مَن كان له قريب إن كان على غير الحق، فالولاية (ولاية الإسلام) هي باتباع الحق، فإذا كان الإنسان على التوحيد وعلى العقيدة الصحيحة فتواليه ولو كان من أبعد الناس، وإن كان الإنسان على عقيدة فاسدة أو على معاصي وذنوب فإنك تُعاديه ولو كان أقرب الناس، فالولاية إنما تكون بالدين، ولذلك النبي ﷺ نفى عن بعض الناس الولاية، وأثبت الولاية للمتقين.

قال: وفي الصحيح، أنه ﷺقال: «إن آل أبي فلان» يعني ذوي فلان، «ليسوا لي بأولياء» يعني ليسوا لي بأحباء ومقربين، «إنما» إنما أداة حصر تدل على حصر الحكم في المذكور ونفيه عما سواه، «إنما أوليائي» يعني أحبائي، والذين أتولاهم وأكون معهم، «المتقون» والمتقون جمع متقي، والمتقي هو الذي جعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ففي الحديث أن الولاية إنما تكون بالاتباع، فمَن كان متبع للنبي ﷺ، وعلى مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فإنك تواليه ولو كان أبعد الناس، ومَن حاد عن الطريق وابتدع أو وقع في البدع ونحو ذلك فإنك تعاديه ولو كان أقرب الناس.

قال المؤلف: -رحمه الله-: وفيه أيضًا (يعني في الصحيح) عن أنس: أن رسول الله ﷺذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر; أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال ﷺ: «لكنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم فمَن رغب عن سنتي فليس مني».

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف أن ثلاثة من الصحابة -رضي الله عنهم- أرادوا الخير، ثم إنهم أتوا إلى أزواج النبي ﷺ فسألوا عن عبادته في السر فأُخبروا، فكأنهم تقالوا وقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا لا أكل اللحم. يعني لا أتمتع بالدنيا، أترك الدنيا وزهرتها، وأنقطع إلى العبادة، وقال الآخر: أما أنا فلا أنام. يعني أصلي الليل جميعًا ما أنام

أبدًا، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. أترك النساء حتى أنقطع للعبادة، وأزهد في الدنيا وشهواتها، وقال الآخر: فأما أنا أصوم ولا أفطر. يعني أصوم السنة جميعًا بحيث لا أفطر منها شيئًا، فأُخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «لكنني» يعني هذا عمل النبي ﷺ، قال: «لكنني أقوم وأنام» يعني أصلي من الليل وأنام من الليل، هذا فعل النبي ﷺ، «وأصوم وأفط » يعني أصوم بعض الأيام وأفطر البعض، «وأتزوج النساء» يعني أتزوج النساء وأتعبد لله، فلا يكون النساء يقطعن الإنسان من عبادة الله ﷻ، «وآكل اللحم» يعني أتمتع بما أباح الله ﷻ لي من اللحوم، «فمَن رغب عن سنتي» يعني مَن لم يرد سنتي ويريد أن يترك الذي أنا عليه، «فليس مني» يعني ليس من أتباعي ومن مَن هو مثل ما أنا عليه.

فلما سمع الصحابة –رضي الله عنهم- هذا من نبي الله تركوا ما أرادوا؛ لأنهم أرادوا الخير، فلما علموا أن النبي ﷺ أخبر أن هذا ليس بصواب تركوه، ولذلك إذا عرف الإنسان أنه على خطأ فعليه أن يترك الخطأ.

وفي هذا الحديث فوائد:

من فوائد الحديث: حرص الصحابة –رضي الله عنهم- على التعبد، لذلك أرادوا أن يزيدوا في العبادة، فبعضهم أراد ألا ينام الليل، وبعضهم أراد ألا يفطر أبدًا.

ومن الفوائد: أن الدين الذي كان عليه النبي ﷺ يسر، فليس الدين بالتشدد والعنت، وإنما هو يسر، الدين الذي بُعث به النبي ﷺ يسر، فيصلي الإنسان وينام، ويصوم ويفطر، ويتزوج النساء، ويأكل اللحم، ويأكل الملذات التي أباح الله ﷻ، ويلبس من أحسن الثاب التي أباح الله ﷻ، ويأكل من أحسن الأطعمة، وينام في المكان البارد، ويتمتع بما أباح الله ﷻ، ولذلك الناس في التعبد على أقسامٍ أربعة:

الأول: مَن ظن أن أفضل العبادة أن يشق على نفسه بحيث يرتكب المشاق، فيُصلي الليل جميعًا، ويصوم السنة جميعًا، ولا يأكل اللحم، ولا ينام على فراش، ويتوضأ بالماء البارد في شدة البرد والماء الحار عنده، ويشق على نفسه، ويصوم ويبقى في الشمس، ويحج على قدميه مع أن معه راحلة، فهذا يشق على نفسه ويرى أن هذا أفضل العبادة، وهذا ليس بصحيح؛ لأن المشقة ليست مرادة لذلتها، ليس المراد من الإنسان أن يشق على نفسه وإنما بعض العبادات يكون

فيها مشقة ملازمة ولكنها يسيرة، ومن الناس مَن ظن أن أفضل العبادة الانقطاع عن الدنيا، بحيث لا يأكل اللحم، ولا يتمتع بملذات الدنيا، ويلبس أشر الثياب، ويركب أشر المراكب، ويترك التنعم في الدنيا، ويترك الطيبات، ولا يأكل مما أباح الله ﷻ، وهذا ليس بصواب أيضًا؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- أباح الطيبات﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ﴾[الأعراف: ٣٢] فالله ﷻ أباح، ولذلك أصحاب الكهف لما قاموا بعد سنين قال أحدهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾[الكهف: ١٩] فطلب أفضل الطعام، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماًفَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ ولذلك النبي ﷺ كان يعجبه الحلوى، وكان يحب العسل، وكان يأكل من العسل، وأيضًا لما قيل له: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن، قال: «إن الله جميل يحب الجمال»، ولذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت، واشرب ما شئت، ما أخطأك اثنتين: الإسراف، والمخيل. فاحذر من الإسراف، واحذر من الكبر، وكل ما شئت واشرب ما شئت، فإن الله ﷻ قد أباح هذه الطيبات.

الثالث من الناس: مَن ظن أن أفضل العبادة هي المتعدية؛ بحيث يتصدق ويحسن إلى غيره ويبث العلم ويكون عمله متعدي، وينسى نفسه ما يكون له أعمال لنفسه، وهذا من وجه صحيح ولكن من وجه أخر ليس بصحيح بمعنى أن الإنسان لا بد أن يساوي بين الأمرين، هذا القسم معناه أن الإنسان مثلًا يتصدق، ويبر والديه، ويصل الرحم، ويُطعم الضيف، ويرشد الضال، ويبث العلم مثلًا ونحو ذلك، ويكون العمل متعدي للغير ولكن ينسى نفسه، ما يكون عنده قيام ليل، ولا يكون عنده صيام نهار، ولا يكون عنده أعمال خاصة صلاة نوافل ونحو ذلك، الأعمال التي تعود على الإنسان نفسه ولا تتعدى لغيره، فهذا من وجه صحيح ولكن من وجه أخر ليس بصحيح.

القسم الرابع: أهل التعبد المطلق الذين يتعبدون لله ﷻ في كل وقتٍ بما يخصه من عبادة، ففي أوقات الليل يقومون الليل، وفي أوقات النهار يصومون النهار، وفي أوقات حضور الضيف يكرمون الضيف، وفي أوقات قراءة القرآن يقرأون

القرآن، وفي أوقات سماع الآذان يرددون معه، وفي وقت السفر يكون حسن الخلق مع صاحبه، وقت الجهاد يكون في الجهاد، ووقت الصدقة يكون من أول الناس في الصدقة، فهذا يكون متعبد لله ﷻ في كل وقت بحسب العبادة التي تكون في هذا الوقت، وهؤلاء يُسمون أهل التعبد المطلق، وهذا هو الصواب، ولذلك النبي ﷺ قال: مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال: مَن أطعم اليوم منكم مسكينًا؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: مَن شهد منكم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: مَن عاد منكم اليوم مريضًا؟ فقال أبو بكر: أنا. فكم هذا عمل؟ أربعة أعمال، فقال النبي ﷺ: «ما اجتمعنَّ في رجل إلا وجبت له الجنة» فهذا هو الصواب أن الإنسان يكون في كل وقتٍ بحسب العبادة التي هو فيها، ففي وقت الصلاة لا ينظر إلى عمل أخر، يحسن صلاته، وفي وقت بر الوالدين يبر الوالدين، في وقت إكرام الضيف يُكرم الضيف حتى لو أنه ترك بعض الأعمال الأخرى، وفي وقت العلم ينشر العلم، وفي وقت التعلم يتعلم لنفسه وهكذا، فيكون في كل وقت بحسب العبادة التي هو فيها، والعادة أنه ما ينقطع لأنه تتنوع عنده العبادات، ويكون منشرح الصدر، أما الذين قبل فإنه إذا فاته العمل التي هو يعملها قد يحزن.

قال المؤلف –رحمه الله-: فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسُمي فعله رغوبًا عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع، وما ظنك بغير الصحابة؟

إذا كان الصحابة –رضي الله عنهم- قال لهم النبي ﷺ هذا القول وأنكر عليهم –عليه الصلاة والسلام-، فما بالك بالذين ابتدعوا وعملوا وما بالك بغير الصحابة؟ ماذا يُقال عنهم؟ فيقال عنهم أشد، ولذلك لا بد أن يكون الإنسان مُتبع للنبي ﷺ في عمله، مخلصًا لله –سبحانه وتعالى-.

وهنا فائدة: أن الناس من حيث الإخلاص والمتابعة أيضًا على أقسامٍ أربعة:

القسم الأول: مَن أخلص لله العمل ولكنه على غير سنة، ابتدع فتجد أنه مخلص في عمله لله ولكنه على غير سنة النبي ﷺ، فهذا عمله باطل وليس له في الآخرة

من خلاق في هذا العمل، وليس في عمله هذا فائدة، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» يعني مردود عليه.

الثاني: مَن عنده إتباع للنبي ﷺ، فتجد أنه يُصلي كما كان النبي ﷺ يصلي، وتجد أنه يصوم كما كان النبي ﷺ يصوم، ولكنه يرائي يريد الثناء من الناس، فيصلي كصلاة النبي ﷺ ولكنه يريد الثناء فهذا عمله حابط وليس له في هذا العمل في الآخرة من خلاق، لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

القسم الثالث: مَن يتعبد لله على غير سنة وهو مرائي، يعني يبتدع بدعة ويرائي فيها فهذا من أشر المنازل، بمعنى أنه يبتدع بدعة لم يعملها النبي ﷺ ويرائي الناس بها يريد الثناء، فهذا من أشر المنازل كالذي مثلًا يبتدع المولد النبوي يتعبد لله بالاحتفال بالمولد النبوي ويرائي يريد الناس أن يثنوا عليه، فهذا وقع في بدعة وأيضًا أراد الثناء من الناس ما يريد وجه الله ﷻ، وأيضًا كفعل بعض الصوفية الذين يبتدعون البدع ويرائون بها.

القسم الرابع: مَن اتبع النبي ﷺ وأخلص العمل لله، فهؤلاء هم الموفقون، وهؤلاء الذين صلحت أعمالهم، لأن صلاح العمل يكون بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص؛ أن يكون مخلص لله.

الشرط الثاني: أن يكون متبع لرسول الله.

ولذلك الفضيل بن عياض قيل له: ما هو العمل الصالح؟ قال: ما كان أخلصه وأصوبه. أو كما قال -رحمه الله-.

المتن

باب قول الله تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم: ٣٠]

قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠].

وقوله تعالى:﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢] وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٣].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺقال: «إن لكل نبي ولاة من النبيين، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي» ثم قرأ:﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٦٨] رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

الشرح

قال المؤلف -رحمه الله-: باب قول الله تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠].

في هذه الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف من حيث المناسبة للباب، أن الإنسان عليه أن يقيم وجهه ويعتدل على الدين الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، ولا يحيد يمنة ولا يسرة، فيفعل كفعل أهل البدع الذين ذهبت بهم الأهواء عن الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ.

قال: قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ يعني استقم، القيام هنا ليس المراد به الوقوف، وإنما هو المراد به أن يستمر الإنسان على الشيء أو يكون فيه، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعني للملة،والدين هنا المراد به الإسلام، ﴿لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ يعني مائل عن ما سوى الله، مُقبل على الله ﷻ، ﴿حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ الفطرة يعني دين الله، ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعني دين الله -سبحانه وتعالى- الذي فطر الناس عليها يعني الذي خلقهم عليها، ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ هذا نفي، يعني لا تبدلوا خلق الله ﷻ، فالله ﷻ خلق العباد حنفاء، فنهى عن تبديل هذه الفطرة السوية، ولذلك الإنسان يُخلق مفطور على توحيد الله -سبحانه وتعالى- والإقرار به، والإقرار بوحدانيته ولكنه تجتاله الشياطين، وأيضًا تُبدل هذه الفطرة بسبب الوالدين، وبسبب الناس الذين خرج

عندهم، ولذلك جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين فحرمت عليهم ما أحللت لهم. وقال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ولم يقل ويسلمانه، لأنه على التوحيد فلو تُرك على هذه الفطرة لوحد الله ﷻ، ولذلك دين الإسلام هو دين الفطرة، فالمشرك ما هو إلا أن يرجع إلى الإسلام فيطمئن؛ لأنه عاد إلى الدين الحق.

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يعني هذا هو الدين المستقيم الحق، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ يعني كثير من الناس يجهل هذا الشيء، فيعتقد أن بعض الأديان الباطلة حق مع أنها تخالف دين الله ﷻ الحق.

قال المؤلف: وقوله تعالى:﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢].

في هذه الآية الكريمة فيها أن إبراهيم ﷺ إمام الحنفاء وصى بنيه بالإسلام، وبالدين الحق أن يتمسكوا به، ثم امتثلوا وبدأ بعضهم يوصي بعض بالإسلام وهذه العقيدة الصحيحة، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾ يعني عهد إبراهيم، ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يعني أن إبراهيم ﷺ وصى يعقوب، ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يعني اختار لكم الإسلام والعقيدة الصحيحة، ﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يعني استمروا على دين الإسلام حتى تلاقوا الله ﷻ وأنتم عليه.

وفيه أن الأنبياء كانوا على الإسلام، وهذا الإسلام بمعناه العام، وأما الإسلام بمعناه الخاص فهو ما بُعث به محمد ﷺ.

قال: وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٣].

في هذه الآية الكريمة فيها أن الله -سبحانه وتعالى- أوحى لنبيه محمد ﷺ أن يتبع إبراهيم في التوحيد، وأخبره سبحانه أن إبراهيم ما كان من المشركين، لم يعبد

إلا الله –سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له، قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وثم للترتيب، فهي تدل على أن النبي ﷺ أوحيَّ إليه بعد إبراهيم، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ﴾ يعني سر، ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني على دين إبراهيم، ﴿حَنِيفًا﴾ يعني موحدًا لله ﷻ مائلًا عن كل ما سواه من الأديان الباطلة، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني ما كان أبدًا من المشركين لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل، بل كان على الإسلام الحق.

ففي الآية الكريمة أن الله –سبحانه وتعالى- يأمر نبيه أن يتبع إبراهيم في التوحيد، وذلك أن الأنبياء دينهم واحد من حيث التوحيد، فجميع الأنبياء على التوحيد، على شهادة أن لا إله إلا الله، جميع الأنبياء يشهدون أن لا إله إلا الله، ولذلك ما بُعث نبي إلا أمر قومه أن يوحدوا الله، ولذلك يقول –سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، فجميع الأنبياء يدعون إلى توحيد الله وهم على توحيد الله –سبحانه وتعالى-.

وفي هذه الآية أن أتباع النبي ﷺ يتبعون النبي ﷺ، ويتبعون إبراهيم ؈.

قال: وعن ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺقال: «إن لكل نبي ولاة»يعني ما من نبي إلا وله ولاة يعني أصحاب وأحباء وأقرباء، «من النبيين، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم»يعني ولي النبي ﷺ إبراهيم –عليه الصلاة والسلام-«وخليل ربي»الخلة هي أعلى درجات المحبة، فإبراهيم خليل الله –سبحانه وتعالى-، وأيضًا محمد ﷺ خليل الله، ولذلك جاء في صحيح مسلم أنه قال: «إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا»، ثم قرأ:﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾يعني أحق الناس بإبراهيم مَن؟ قال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني أتباع إبراهيم ؈ من أتباعه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ يعني محمد ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾يعني أتباع محمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾يعني الله ﷻ يتولى المؤمنين، يحفظهم ويكلئهم ويرعاهم –سبحانه وتعالى-، الولاية هنا ولاية المحبة ونحو ذلك، وذلك أن الولاية تنقسم إلى قسمين:

الأول: ولاية حاجة.

الثاني: ولاية حب ومحبة وإعانة وتوفيق.

فالأول منتفي عن الله -سبحانه وتعالى-، فالله ﷻ ليس له أحد يواليه من باب الحاجة؛ لأنه -سبحانه وتعالى- الغني، قال -سبحانه وتعالى-:﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ﴾[الإسراء: ١١١] أي أن الله -سبحانه وتعالى- ليس بذليل حتى يحتاج لأحد يعينه، لأنه -سبحانه وتعالى- الغني بذاته، والخلق جميعًا فقراء إليه، فما من مخلوق ولو عظم إلا وفي قلبه فقر إلى الله -سبحانه وتعالى- وحاجة وذل، والله -سبحانه وتعالى- غني عن جميع الخلق، وللذلك يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: الفقر وصفٌ لذاتي كما أن الغنى وصفٌ له ذاته. فالغنى وصف لله ﷻ لا يمكن أن ينفك عنه، والفقر وصف لكل مخلوق مهما وصل في هذه الدنيا فيظل ذليل فقير إلى الله، ولا بد أن يعتقد هذا الشيء، وسيأتي إلى الله -سبحانه وتعالى- ذليل فقير محتاج إلى الله ويقف بين يديه وهو ذليل، قال -سبحانه وتعالى-:﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[مريم: ٩٣] يعني ذليل فقير، ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً(٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً (٩٥)﴾[مريم: ٩٤-٩٥] فلا بد أن يعتقد كل مخلوق أنه فقير لله -سبحانه وتعالى-، والله -سبحانه وتعالى- هو الغني ذو الرحمة، قال: رواه الترمذي.

قال: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر» هنا النظر الفعلي، «لا ينظر إلى أجسامكم» يعني لا ينظر الله ﷻ إلى أجسام الناس، هل هذا سمين، هل هذا طويل، هل هذا قصير، هذا ليس له قدر عند الله -سبحانه وتعالى-، «ولا إلى أموالكم» ولا ينظر الله -سبحانه وتعالى- إلى هذا الرجل إذا كان ذي مال فهو قريب من الله، وإن لم يكن ذي مال فهو بعيد من الله هذا لا ينظر إليه الله -سبحانه وتعالى-، «ولكن» لكن للاستدراك، «ولكن ينظر إلى قلوبكم» هذا محل نظر الرب -سبحانه وتعالى-، القلب إذا كان فيه خشية لله وحب للخير وخوف من الله -سبحانه وتعالى- وتعظيم لله ومحبة له فإن هذا نظر الرب -سبحانه وتعالى-، «وأعمالكم» أيضًا ينظر الله ﷻ للعمل، إذا كان على السنة وإتباع النبي ﷺ، وكان يؤدي الفرائض، ويكثر من النوافل فإن هذا محل نظر الرب.

فالإنسان عليه أن ينظر إلى قلبه فيخلص العمل لله، وأيضًا ينظر لعمله فليتبع للنبي ﷺ وليحذر من البدع والمخالفات.

المتن

ولهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إلي رجال من أمتي، حتى إذا أهويت لأناولهم. احتجبوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: «وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد» قالوا: فكيف تعرف مَن لم يأت بعد من أمتك؟ قال: «أرأيتم لو أن رجلا له خيل غرا محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى. قال: «فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم. فيقال: إنهم بدلوا بعدك. فأقول: سحقا سحقا».

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: ولهما (يعني البخاري ومسلم) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» الفرط هو المُقدم، والمتقدم إلى الشيء، فيقول النبي ﷺ: إني أتقدم قبلكم إلى الحوض، والحوض في اللغة هو مجمع الماء، وأما في الشرع فهو الحوض الذي يكون في عرصات القيامة للنبي ﷺ، وهو حوضٌ طوله شهر، وعرضه شهر، وكيزانه كعدد نجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعده أبدا، ويشرب منه المؤمنون الذين اتبعوا النبي ﷺ، ولذلك قال: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إلي رجال» يعني يرفعون يؤتى بهم إليه، الرفع هنا بمعنى الإتيان بهم إليه ﷺ، «من أمتي» يعني من أتباع النبي ﷺ الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، قال: «حتى إذا أهويت لأناولهم» يعني أراد النبي ﷺ أن يناولهم من الماء من هذا الحوض، «احتجبوا» يعني اقتطعوا، «دوني» يعني دون أن أصل إليهم، «فأقول» يعني عند ذلك، «أي

رب» هذا السؤال من النبي ﷺ لربه، «أي رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» يعني ما حصل منهم بعد أن مت، بعد أن مات النبي ﷺ أحدثوا أمور لا يعلمها النبي ﷺ.

هذا الحديث فيه فوائد:

من فوائد الحديث: أن النبي ﷺ يتقدم إلى الحوض قبل أمته، ولذلك قال: «أنا فرطكم على الحوض» والنبي ﷺ أول مَن يخرج من قبره –عليه الصلاة والسلام-، فيسبق النبي ﷺ إلى الحوض.

ومن الفوائد: أن للنبي ﷺ حوض، وقد اختلف العلماء هل هذا خاص بالنبي ﷺ أو لغيره من الأنبياء، والأقرب والله أعلم أن لكل نبي حوض، وأعظم هذه الأحواض هو حوض النبي ﷺ، وأكثره واردة، لذلك جاء في الحديث أنه –عليه الصلاة والسلام- قال: «وأنا أكثرهم واردة»، وجاء عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي حوض».

وأيضًا لأن من حكمة الله –سبحانه وتعالى- أن يجعل لكل نبي حوض يرده أتباعه، وأعظم هذه الأحواض هو حوض النبي ﷺ قال: «وليرفعن إليّ رجال من أمتي».

ومن الفوائد: أن هناك من أمة النبي ﷺ مَن يُرد عن الحوض لا يشرب منه، وقد اختلف العلماء –رحمهم الله- في مَن يُرد عن الحوض، فقيل: هو كل مَن أحدث ووقع منه حدث، أحدث في دين الله ما ليس منه، فيُرد عن الحوض، وقيل: هم المنافقون، لأنهم يُظهرون الإسلام في الدنيا، وفي الآخرة يُردون عن الحوض، وقيل: هم العصاة أهل الكبائر، ولذلك جاء عند النسائي أن النبي ﷺ قال: «يكون أمراء» يعني أنهم يظلمون، «فمَن أعانهم على الظلم فلن يرد عليّ الحوض» أو كما جاء في الحديث، وقيل: هم الذين كفروا بعد موت النبي ﷺ، والأقرب والله وأعلم أن كل مَن أحدث في دين الله ﷻ ووقع منه حدث، وأيضًا المرتدون أنهم يُبعدون عن الحوض ويُردون، ولذلك قال: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وجاء في الرواية الأخرى: «إنهم لم يزالوا بعدك مرتدين» يعني ارتدوا عن الإسلام.

وأيضًا يشمل مَن ابتدع في الإسلام بدعة مكفرة، كالرافضة والجهمية ونحوهم من الذين ابتدعوا في دين الله ﷻ وكانت بدعتهم مكفرة، وقد يكون يُرد عن الحوض ولكنه لا يخلد في النار، يعني يفرق بين أن يُرد الإنسان عن الحوض ولكنه لا يخلد في النار، قد يُرد عقابًا له، ويكون بعد ذلك يدخل الجنة كما لو كان مسرف على نفسه بالمعاصي، والرافضة يستدلون بمثل هذه الأحاديث بكفر صحابة النبي ﷺ، فيقولون أن في الحديث يقول: «أصحابي» والجواب:

أولًا: أن هذا من المتشابه، والذي في قلبه زيغ يتبع المتشابه، وقد أخبرنا الله ﷻ بذلك.

ثانيًا: أن في الروايات الأخرى ما يُفسر هذه الرواية، فقوله: «أصحابي» يعني أتباعي على ديني، ولذلك لما قيل له –عليه الصلاة والسلام-: كيف تعرف أصحابك يا رسول الله؟ قال: «بآثار السجود».

أيضًا مما يُرد على هؤلاء أن الصحابة أجمع العلماء على أنه لم يرتد أحد من المهاجرين والأنصار بعد موت النبي ﷺ، ولذلك يقول الخطابي –رحمه الله-: أنه ما ارتد أحد من الصحابة. يعني المهاجرين والأنصار، وإنما ارتد جُفاة من العرب الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم، ولذلك على الإنسان أن يرد ما اشتبه عليه إلى ما هو مُحكم.

وأيضًا مما يُرد عليهم يعني الرافضة أن الصحابة –رضي الله عنهم- ما أحدثوا بعد النبي ﷺ شيء، وفي الحديث يقول: «ما أحدثوابعدك» الصحابة لم يحدثوا شيء في الإسلام.

قال المؤلف –رحمه الله-: ولهما عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺقال: «وددت» الود هو المحبة، «أنا قد رأينا إخواننا» يعني النبي ﷺ يقول أحب أنا رأينا إخواننا، «قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟» قال الصحابة –رضي الله عنهم-: «لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي» يعني أنتم الذين صحبتموني، «وإخواني الذين لم يأتوا بعد» يعني لم يأتوا في وقت النبي ﷺ وإنما يأتون بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه، «قالوا: فكيف تعرف مَن لم يأت بعد من أمتك؟» يعني كيف

تعرف مَن يا رسول الله؟ «قال: «أرأيتم لو أن رجلا له خيل غرا محجلة» يقول النبي ﷺ ينبه الصحابة ويقول: «أرأيتم لو أن رجلا له خيل» الخيل معروف، «غرا» يعني فيها غرا، والغرا هي البياض الذي يكون في جبين الفرس، «محجلة» والتحجيل هو بياض أقدام الفرس، «بين ظهراني خيل دهم» الدهم يعني خيل سود، «بهم» الذي لا يُخالطه لون أخر، ومنه قولهم: الليل البهيم؛ يعني الليل الأسود الذي لا بياض فيه، «ألا يعرف خيله؟»يعني هذا الرجل لو كان له خيل بهذه المثابة بياض في الجبين، وأقدامها بيض، والخيل الأخرى سود ليس فيها لون أخر، ألا يعرف هذا الرجل خيله من هذه الخيل؟ «قالوا: بلى» يعني نعم يعرفها، «قال: «فإنهم يأتون غرا محجلين» يعني يأتون أمة النبي ﷺ وهذه سمة لهم وهي خاصة بأمة النبي ﷺ، ولذلك جاء في الحديث الأخر أنها سمة لكم وليست لغيركم «من الوضوء».

قال: «وأنا فرطهم على الحوض» يعني مقدمكم، «ألا ليذادن» يعني يردنَّ، «رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال» كما أن الإنسان إذا أتاه البعير الضال يريده فلا يدعه يشرب من ماءه كذلك سيرد عن النبي ﷺ هؤلاء الرجال، «أناديهم: ألا هلم. فيقال: إنهم بدلوا بعدك. فأقول: سحقا سحقا» يقول النبي ﷺ: فأقول لهم: سحقا سحقا. يعني بعدًا بعدا لمَن بدل بعدي.

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف فيها أن الإنسان يحذر من البدع؛ لأن البدع من أسباب أن يُرد عن حوض النبي ﷺ، ولذلك القرطبي –رحمه الله- يقول: ومن أعظم الناس ردًا عن حوض النبي ﷺ مَن بدل كالخوارج والرافضة وغيرهم، وذكر أقوام –رحمه الله-.

وهنا يُنبه إلى مسألة مهمة أن صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لم يرتد منهم أحد بعد موت النبي ﷺ أبدًا، ولذلك يقول الخطابي –رحمه الله- كما نقل ابن حجر في الفتح: لم يرتد أحد من الصحابة أبدًا. والمراد المهاجرون والأنصار، والنبي ﷺ في حياته ارتد رجلان، الأول عبد الله بن أبي السرح، ارتد ثم إنه رجع إلى الإسلام بعد فتح مكة، ولذلك أتى به عثمان فشفع فيه عند النبي ﷺ فقبل النبي ﷺ شفاعته، فعاد إلى الإسلام ، الرجل الآخر نصراني أسلم، ثم قرأ البقرة وقرأ آل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، ويقول له النبي ﷺ اكتب كذا ويكتب خلافه، فيقول أنا

كتبت هكذا فيقول: هكذا أنزلت، ثم إنه ارتد وقال: ما يعلم محمد ما أكتب له. وهذا فتنة، لما حصل لهذا الرجل أنه فتن، ثم إن هذا الرجل مات في عهد النبي ﷺ، فدفنه قومه فلفظته الأرض، يعني أخرجته من بطنها ثم أعيد مرة أخرى فلفظته الأرض، فأعيد الثالثة فلفظته الأرض فتركوه خارج الأرض، ما قبلته الأرض، وأما بعد وفاة النبي ﷺ فلم يرتد أحد من أصحاب النبي ﷺ، والمراد المهاجرون والأنصار وإنما ارتد أقوام أسلموا متأخرًا وقاتلهم أبو بكر ، فمنهم مَن رجع إلى الإسلام، ولذلك هؤلاء الذين يُطردون عن الحوض ، قد يكون منهم الذين ارتدوا من جفاة العرب وقد يكون أيضًا من الذين بدلوا في الدين وأحدثوا في دين الله ما ليس منه، أما الصحابة من المهاجرون والأنصار فإنهم أول مَن يشرب من هذا الحوض.

لذلك جاء في بعض الآثار أن أبا بكر على زواية، وعمر على زاوية، وعلي وعثمان على زاوية يسقون الناس. والله أعلم بصحة هذه الآثار، ولكن لا شك أن الصحابة أول مَن يشرب من الحوض، فالمراد الذين يُردون عن الحوض هم الذين بدلوا ووقعوا في البدع، فإذا كانت البدع كفرية فإنهم يُردون عن الحوض ولا يشربون منه ولا يدخلون الجنة ، وإذا كانوا دون ذلك فقد يُعاقب الإنسان بالرد عن الحوض ولكن لا يخلد في النار والله أعلم.

المتن

وللبخاري: «بينما أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم وعرفوني خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة - فذكر مثله - قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

ولهما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٧].

ولهما مرفوعا: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها»ثم قرأ أبو هريرة:﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم: ٣٠]متفق عليه.

وعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير. وأنا أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»فقلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن قلت وما دخنه؟» قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم. فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم؛ مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»قلت: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك»أخرجاه، وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: «ثم يخرج الدجال، معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره»قلت: ثم ماذا؟ قال: «هي قيام الساعة»وقال أبو العالية: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تتحرفوا عن الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء". انتهى.

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: وللبخاري أنه ﷺ قال: «بينما أنا قائم» يعني على الحوض، «إذا زمرة» يعني جماعة، «حتى إذا عرفتهم» يعني عرفهم –عليه الصلاة والسلام- بآثار الوضوء أو نحو ذلك، «خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم» هذا الرجل قال لهؤلاء الزمرة: هلم يعني تعالوا، «فقلت» يعني يقول النبي ﷺ«أين؟» يعني إلى أين تذهب بهم، «قال: إلى النار والله» يقول هذا الرجل والله إلى النار يُذهب بهم، «قلت: وما شأنهم؟» يعني ما هو الذي حصل منهم؟ «قال: إنهم ارتدوا

بعدك على أدبارهم القهقرى» يعني إلى الوراء، إلى الخلف، «ثم إذا زمرة» يعني زمرة أخرى، «- فذكر مثله -» يعني جماعة أخرى، «قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» يعني مثل النعم القليلة الهاملة فلا يخلص منهم إلا القليل.

ففي هذا الحديث أن مَن بدل بعد النبي ﷺ ووقع في البدع أو بدل في دين الله ﷻ ما ليس منه فإنه يُرد عن هذا الحوض.

قال المؤلف –رحمه الله-: ولهما (يعني البخاري ومسلم) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فأقول كما قال العبد الصالح: (يعني عيسى عليه السلام)﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[المائدة: ١١٧] يقول عيسى عليه السلام كنت على بني إسرائيل شهيدًا ما دمت فيهم، يعني شاهدًا على أعمالهم، ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ يعني قبضتني، ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أنت الذي تحيط بهم يا رب العالمين وتراقبهم وتعلم أعمالهم ولا يخفى عليك من أعمالهم شيء، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يعني بكل شيء –سبحانه وتعالى- عالم ومحيط.

قال المؤلف –رحمه الله-: ولهما (يعني البخاري ومسلم) مرفوعا (للنبي ﷺ)، وسميَّ مرفوعًا؛ لأنه مرفوع في قدره، يعني هذا الحديث مرفوع في قدره لأنه من كلام النبي ﷺ، ومرفوع لأن السند ينتهي إلى النبي ﷺ، قال: «ما من مولود»ما هنا تدل على العموم وهي أسم موصل يدل على العموم، «ما من مولود يولد إلا على الفطرة» يعني على فطرة الله ﷻ التي فطر الناس عليها، وهي الإقرار بالله ﷻ، والإقار بتوحيده، وعبادته، وربوبيته ونحو ذلك، قال: «فأبواه يهودانه» يعني يتسببان في إخراجه من هذه الفطرة ونقله إلى اليهودية، «أو ينصرانه» أيضًا قد يتسبب الوالدان في نقله من هذه الفطرة السليمة إلى النصرانية والدين الباطل، «أو يمجسانه» ينقلانه أيضًا ويتسببان في ذلك في نقله إلى المجوسية، وهي ديانة باطلة، وهم يعبدون النار، يعني قوم كانوا يعبدون النار، «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء» يعني كما أن الشاة مثلًا إذا ولدت أتت بابنها كامل في أعضاءه، «هل تحسون فيها من جدعاء» يعني مقطوعة الأذن أو القرن، فإذا ولدت البهيمة تكون كاملة الأذنين

والقرن ونحو ذلك، «حتى تكونوا أنتم تجدعونها» حتى أنتم الذين تقطعون هذه الأذن وهذه الأعضاء، ثم قرأ أبو هريرة:﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم: ٣٠].

ومعنى هذا المثال: أن الشاة كما أنها إذا ولدت مثلًا أتت بولد كامل ليس في أذنه قطع ولا في قرنه قطع، ثم يأتي هذا الرجل ويقطع الأذن ويقطع القرن، فينقل هذه البهيمة إلى شكل أخر مقطوعة الأذن مقطوعة القرن، كذلك الإنسان يولد على الفطرة السليمة، فيكون هذا الوالد سبب في نقل هذه الفطرة السليمة، فينقله عن هذه الفطرة السليمة ويتسبب في ذلك.

ثم قرأ أبو هريرة:﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم: ٣٠]، يعني دين الله الذي خلق الخلق عليه.

هذا الحديث فيه فوائد:

من فوائد الحديث: أن المولود يولد على الفطرة، يولد مُقر بالله ﷻ، فلو تُرك على هذه العقيدة لأسلم لله ﷻ، وإنما يحتاج إلى مَن يُنبهه، فإذا بُعث إليه الرسول نبه على هذه الفطرة، ويُنبهه على العبادات ونحو ذلك.

ومن الفوائد: أن الأبوين قد يتسببان في إضلال الإنسان، ولذلك قال: «فأبواه يهودانه» يعني ينقلانه إلى اليهودية، أو النصرانية أو المجوسية، فيتسببان في إضلال الإنسان، ولذلك إذا كان الولد مات في الدنيا وأبواه مشركين فإنه له حكمهم في الدنيا، لا يُغسل ولا يُدعى له ولا يُصلى عليه، وأما في الآخرة ففيه خلاف بين العلماء هل هو في الجنة أو غير ذلك، ولذلك ابن القيم ذكر أن في أولاد الكفار الذين يموتون دون الحلم ودون البلوغ أن فيهم ثمانية أقوال، وأقواها قولان:

القول الأول: أنهم يمتحنون يوم القيامة، هذا اختيار شيخ الإسلام –رحمه الله-، أنهم يمتحنون يوم القيامة.

القول الثاني: أنهم في الجنة، وهذا هو الأقرب والله أعلم.

والدليل على ذلك: ما جاء في صحيح البخاري من حديث سمرة في رؤيا النبي ﷺ لما رأى أولاد المسلمين في الجنة مع إبراهيم، قال رجل من المسلمين: وأولاد المشركين يا رسول الله؟ قال: «وأولاد المشركين» فهذا أقرب والله أعلم، وقد يُمتحنون لأنه ورد عند أحمد أن الرجل يولد في الدنيا لا عقل له، ورجل لا يأتيه

رسول يُبلغه، فيحتجون يوم القيامة يقول الأهبل: يا ربي بعثت الرسول وكان الصغار يقذفون عليه البعرة، إني لا عقل لي. ويقول الذي لم يأتيه رسول: يا ربي ما آتاني رسول. فيُمتحنون يوم القيامة، فمَن أجاب دخل الجنة، ومَن عصى دخل النار، فقد يكون هؤلاء الصغار يُمتحنون يوم القيامة، والله أعلم.

قال: وعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير.

حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه- يقول: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير لفعله، الصحابة كانوا يسألون عن العمل الصالح ليفعلوه، خلافًا لبعضنا الآن نسأل لنعلم فقط لا لنعمل، يعني نسأل لمجرد العلم، فنسأل عن حكم صلاة الضحى مثلًا وعن صلاة الليل لنعلم لا لنعمل، الصحابة –رضي الله عنهم- كانوا يسألون ليعملون.

قال: وأنا أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني.

يعني أن يُصيبني، وهذا من فقهه –رضي الله عنه-، ولذلك يقول القائل: عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه، ومَن لا يعرف الشر يقع فيه، يسأل –رضي الله عنه- عن الشر ليتقيه.

قال: فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية (يعني قبل مبعث النبي ﷺ) وشر.

يعني الشر الذي كانوا فيه، فكان الرجل يعبد الصنم، ويعبد التمر، ويعبد غير ذلك من العبادات الباطلة.

قال: فجاءنا الله بهذا الخير.

وهو بالإسلام والتوحيد والعقيدة الصحيحة.

فهل بعد هذا الخير من شر؟

(يعني بعد هذه العقيدة الصحيحة من شر)

قال: «نعم»فقلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم»

(يعني يأتي بعد هذا الشر خير)

«وفيه دخن»

(يعني فيه شيء)

قلت: وما دخنه؟قال: «قوم يستنون بغير سنتي»

(يعني مثالهم أهل البدع يستنون بغير سنة النبي ﷺ)

«ويهتدون بغير هديي»

(يعني يقتدون بغير فعل النبي ﷺ)

«تعرف منهم وتنكر»

(تعرف بعض الأعمال فترى أنها صحيحة، وتنكر بعض الأعمال لأنها ليست على سنة النبي ﷺ، وليست على العقيدة الصحيحة)

قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟

(يعني هذه المرحلة الثالثة)

قال: «نعم. فتنة عمياء»

(يعني فتنة عظيمة عمياء)

«ودعاة على أبواب جهنم؛ مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها»

(الدعاة الذين يدعون إلى شيء، فيشمل الداعي إلى خير، والداعي إلى شر، فالداعي إلى الشر قد يكون داعي لكنه داعي إلى شر، قال الله –سبحانه وتعالى- عن

آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[القصص: ٤١] فهم يدعون لكنهم يدعون إلى النار، فهؤلاء الدعاة يدعون ولكنهم يدعون إلى شر، إذا أجابهم الإنسان تسببوا في قذفه في النار).

«مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها»

يعني كحال أهل البدع كالخوارج مثلًا أو الجهمية أو الرافضة فيدعون، ولكنهم يدعون إلى الشر، يقولون: هلمَّ، ولكن هلمَّ إلى الشر، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها» يعني مَن أجاب هؤلاء تسببوا في قذفه في النار.

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا.

نريد نعرف مَن هم هؤلاء الرجال.

قال: «قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»يعني من العرب. «ويتكلمون بألسنتنا» يعني بالكلام المعروف.

قلت: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين»فأرشده النبي ﷺ إذا حصل ذلك ماذا يفعل.قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» يعني تكون مع الجماعة ومع الإمام، فتجتمع معهم، وفيه أن الجماعة من أسباب ابتعاد الإنسان عن الشر، إذا كان مع الجماعة فإنه من أسباب أن يبتعد عن الشر، وإذا فارق الجماعة فإنه من أسباب وقوعه في الفتنة، قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» يعني كن معهم واسمع وأطع في غير معصية الله ﷻ.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة.

يعني هذه الجماعة تفرقت، وليس لهم إمام. يعني أناس ليس لهم جماعة يجتمعون فيها ولا إمام يسمعون له ويطيعون.

قال: «فاعتزل تلك الفرق»عني كن على حده عن هذه الفرق كلها، «ولو أن تعض على أصل شجرة» يعني لو تأتي على غصن الشجرة ثم تعض عليه، «حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك» وفيه أن النبي ﷺ أرشده إلى الابتعاد عن الفتن.

هذا الحديث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحديث: أن حذيفة –رضي الله عنه- كان يسأل عن الشر ليتقيه، ففيه أن الإنسان يتعلم الشر لا يعمله ولكن ليتقيه، فمثلًا إنسان يتعلم الشرك يعرف ما هو الشرك، حتى لا يقع فيه حتى يحذر منه، وأيضًا يتعلم الكفر لئلا يقع فيه وهكذا، ولذلك هذا من الفقه أن الإنسان يتعلم الشر ليتقي هذا الشر.

ومن الفوائد: أن الناس كانوا في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، ولذلك أقره النبي ﷺ، قال: كنا في جاهلية وشر. فأقره النبي ﷺ على ذلك.

ومن الفوائد: أنها ستقع فتن كما أخبر النبي ﷺ، لذلك قال: «فتنة عمياء ودعاة على أبواب جهنم» وهذا مما أخبر به النبي ﷺ أنه سيكون لا بد أن يقع، ولذلك خرج مَن دعى إلى البدع، ودعى إلى نفي صفات الله ﷻ، ودعى إلى غير ذلك من الدعوات التي إذا أجاب الإنسان وقع بسببهم في النار.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا سمع الشخص يتكلم في دين الله ﷻ فعليه أن ينظر هل هو موافق لكتاب الله ﷻ وسنة رسوله، أم أنه من أهل البدع، فإذا كان يوافق الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة –رضي الله عنهم- فعليه أن يستمع له، وإن كان يُخالف كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ وأصحاب رسول الله ﷺ فعليه أن يحذر منهم لأنه داعية ضلال، لذلك أعظم ما يُضل الناس عن دين الله ﷻ دعاة الضلال، فيخرجون يدعون الناس إلى الضلال فيتبعهم أقوام، فمثلًا فرقة الجهمية نسبةً إلى رجل دعى إلى الضلال فتكونت منه فرقة كاملة، وغير ذلك من الفتن، يخرج داعية ضلال فيدعو الناس إلى الوقوع في البدع فيتسبب في إضلال كثير من الناس، ولكن على الإنسان أن يحذر من هؤلاء ولا يستمع لهم، ولذلك السلف ما كانوا يسمعون لأهل الضلال، أهل الضلال ما ينبغي للإنسان أن يسمع لهم، لا تقل قلبي قوي أستمع وأخرج، فإنك قد تستمع ولا تخرج، ولذلك يقول العلماء أن شيخ الإسلام –رحمه الله-

كان يرد على أهل البدع ويقرأ في كتبهم، ولكن الله ﷻ حماه، فكان بعض العلماء يتعجب، ولكن الله ﷻ حماه، كان -رحمه الله- نحسبه والله حسيبه صادق في نيته فأنجاه الله من الشبهات.

ولذلك الإنسان يحذر من القراءة في كتب أهل البدع، وأيضًا الاستماع لهم، لا تستمع لرجل يدعو لضلال؛ لأن القلب قد يتشرب الفتنة، قلب الإنسان قد يتضرر، القلب قد يبقى فيه شيء، ولو قال لا أتأثر قد يقول هذا بلسانه لكن القلب يبقى فيه شيء، فمثلًا يخرج أحد الرافضة مثلًا يقول: فعلت عائشة كذا، وخرجت على علي وحصل منها كذا وكذا، فيأتي هذا المسلم السني فيستمع له، ثم يقع في قلبه أن عائشة حصل منها هذا ثم يعجز عن إخراج هذه الفتنة التي وقعت في قلبه.

وأيضًا قد يخرج رجل فيسب ولاة المسلمين مثلًا فيقول: حصل منهم كذا، والحاكم حصل منه كذا، ثم يقع في قلب الإنسان هذا بغض للحاكم، ويقول بلسانه: أنا لم أتأثر ولكن القلب متأثر، لذلك عليك أن تحذر من هؤلاء لا تستمع لهم؛ لأنهم لن ينفعوك وقد ضلوا، النبي ﷺ حذر منهم، فهو أخبر أنهم سيكونون، قال: «مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها» يعني في النار، وأخبر النبي ﷺ أنهم يتكلمون بألسنتنا فهم عرب، وقال: «من جلدتنا» فعلى الإنسان أن يحذر من هؤلاء، وليستمع لمَن عُرف بالعقيدة الصحيحة؛ لأن الإنسان إذا استمع لدعاة الخير الذين عُرفوا بالصلاح والعقيدة الصحيحة أنه يؤجر على استماعه، ولو كان مجرد استماع فإنه يؤجر فعليه أن يُكثر من السماع إلى أهل الخير ويحذر من أهل الشر.

ومن الفوائد: أن الاجتماع من الخير؛ إذا اجتمع الراعي والرعية هذا من أسباب الخير، فلذلك النبي ﷺ أرشد حذيفة أن يكون مع هذه الجماعة، مع الإمام وهذه الجماعة.

ومن الفوائد: أن الذي يحرص على تفرقة جماعة المسلمين أنه من دعاة الشر، إذا كان الإنسان يريد أن يكون فرقة بين الإمام وجماعة المسلمين فإن هذا من دعاة الشر، ولذلك النبي ﷺ أرشد إلى أن يلتزم بجماعة المسلمين، فكيف بمَن كان يريد أن يفرق بينهم؟ ولذلك جاء في الحديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتاكم وأمركم جمع على إمام واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه» وجاء في

رواية أخرى عند الطبراني أو غيره قال: «كائنًا مَن كان» إذا أتى يريد الشر، يريد أن يفرق الجماعة فإنه يُرد.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يتمسك بالحق ولو كان وحده، إذا تفرقت الجماعة وتفرق الناس وأصبح الناس في بدع وفي مخالفات فعليك أن تلزم الحق، ولذلك يقول ابن مسعود –رضي الله عنه-: أنت الجماعة ولو كنت وحدك. فإذا التزمت بالحق فأنت الجماعة.

قال المؤلف –رحمه الله-: وزاد: ثم ماذا؟ قال: «ثم يخرج الدجال»يعني الرجل الكذاب اليهودي الذي يخرج في أخر الزمان، الدجال من اليهود كما جاء عند الإمام أحمد ويخرج في أخر الزمان، ويدعي أولًا أنه نبي ثم يدعي أنه الرب، وهذا الرجل أعور العين، وفي عينه الأخرى أيضًا لحمة، فهو قبيح المنظر، وهذا الرجل فتنته عظيمة فهو يقول للسماء أمطر فتمطر بإذن الله ﷻ، ويقول للأرض أنبتِ فتنبت بإذن الله ﷻ، ويأتي إلى الأرض الخربة فيقول: أخرجي كنوزك فتخرج كالنحل تتبعه، ويأتي إلى القوم فيتبعونه فيذهب من عندهم وقد أصبحوا في حالة طيبة، ويأتي إلى القوم فيكفرون به فيذهب عنهم وقد أصبحوا في حالة سيئة، ويأتي إلى العرابي فيقول: هل تؤمن بي إذا أخرجت لك أباك وأمك؟ فيقول: نعم. وقد مات أبوي هذا الرجل، فيخرج شيطانان من القبر فيقول أحدهما: يا بني هذا ربك فاتبعه، فيقول الآخر: يا بني هذا ربك فاتبعه. وأيضًا يأتي إلى رجل صالح فيرد عليه هذا الرجل، فيضربه جزلتين، ثم يقول له: قم فيقوم، فهذا الرجل فتنته عظيمة، ولذلك جاء في صحيح مسلم من حديث عمران أن النبي ﷺ قال: «مامن فتنة أعظم من فتنة الدجال منذ خلق الله آدم إلى يوم القيامة» فهو من أعظم الفتن، ولكنه مع هذا فهو رجل لا يعدو قدرا كما قال النبي ﷺ، والله ﷻ يثبت المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قال –عليه الصلاة والسلام- «فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره»قلت: ثم ماذا؟ قال: «هي قيام الساعة»

وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه (يعني لا تتركوه)، وعليكم بالصراط المستقيم (يعني الزموه)، فإنه الإسلام (هذا تفسير)، ولا تتحرفوا عن الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء (يعني البدع).

فالبدعة هوى يقع في قلب الإنسان .

ثم قال المؤلف: تأملوا كلام أبي العالية –رحمه الله-، ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء.

ففيه أن الإنسان يحذر من البدع، ويلزم سنة النبي ﷺ وما كان عليه أصحابه ﷺ، ولذلك قال المؤلف: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة: ١٣٠] قد تقدم تفسير الآية الكريمة، وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول، والناس عنها في غفلة. وبمعرفته يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها.

يعني يقول المؤلف أن الأحاديث كثير في هذا الباب.

وأما الإنسان الذي يقرؤها وأشباهها وهو آمن مطمئن.

يعني يقرأ هذه الآيات وهذه الأحاديث ويقول أنا في أمن لن أقع في بدعة، ولن أقع في هذه الفتن.

ويظنها في قوم كانوا فبانوا.

يظن أن هذه الأحاديث وهذه الآيات في أناس ذهبوا، وقد يكون هو المعني بهذه الأحاديث، قد يكون الرجل الذي يقال فيه هذه الأحاديث هو في نفسه ويظن أنها في غيره.

قال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩].

المتن

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: "خط لنا رسول الله ﷺخطا، ثم قال: «هذا سبيل الله»ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»وقرأ:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣]" رواه أحمد والنسائي.

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: وعن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: "خط لنا رسول الله ﷺخطا.

يعني خط لهم –عليه الصلاة والسلام- في الأرض خطًا.

ثم قال: «هذا سبيل الله».

وهذا للتمثيل، يعني طريق الله، والخط العادة أن يكون مستقيم وهكذا طريق الله –سبحانه وتعالى- مستقيم.

خط لنا رسول الله ﷺخطا، ثم قال: «هذا سبيل الله»ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله.

يعني في هذا الخط خطَّ –عليه الصلاة والسلام- خطوط عن يمينه وعن شماله.

ثم قال: «هذه سبل».

يعني طرق.

«على كل سبيل»

يعني على كل طريق.

«منها شيطان يدعو إليه»

أي أن هذه الطرق التي عن اليمين وعن الشمال على كل طريق شيطان يدعو هلمَّ إلى هذا الطريق، وهذه الطرق يدخل فيها المعاصي والبدع، فالشياطين تزين المعاصي، وتزين البدع للناس فتدعو إلى المعاصي، وتدعو إلى البدع، فطريق الله – سبحانه وتعالى- مستقيم، وهذه الطرق تكون عن يمين وعن شمال، ويكون على كل طريق شيطان يدعو إما لبدعة وإما لمعصية.

وقرأ:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾[الأنعام: ١٥٣]".

يعني قرأ هذه الآية الكريمة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾يقول –سبحانه وتعالى- هذا طريقي مستقيم معتدل،﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني سيروا عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني ولا تتبعوا الطرق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي تذهب بكم عن سبيل الله –سبحانه وتعالى-، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ أي عهد إليكم –سبحانه وتعالى- ألا تتبعوا هذه السبل وتتركوا سبيل الله –سبحانه وتعالى-، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني لكي يكون منكم التقاة.

قال: رواه أحمد والنسائي.

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف –رحمه الله- فيه فوائد:

من فوائد الحديث: أن النبي ﷺ قد يُبلغ العلم بالمثال، ولذلك كان –عليه الصلاة والسلام- يوصل الدعوة إلى الناس أحيانًا بالمثال، كما جاء في الصحيحين من حديث سهل أنه –عليه الصلاة والسلام- قام في المنبر فصلى والناس ينظرون، فقال: «إنما فعلت ذلك لتعلموا صلاتي» فمثل هذه الأحاديث يُبين النبي ﷺ العلم إما بمثال وإما بصورة العمل، كما في الحديث المتقدم، وبالمثال كما في هذا الحديث وذلك أن التمثيل أو تصوير العلم يُبقي المعلوم في قلب الإنسان، من أسباب ثبات العلم أن تصور المعلوم بمحسوس أو تتمثل عليه، فلذلك لو رأيت مثلًا رجل لا يعرف الوضوء ثم توضأت أمامه، لكان هذا أبلغ من التعليم، وأيضًا إذا مثلت له مثال فإنه يتنبه.

ومن الفوائد: أن الطريق الموصل إلى الله -سبحانه وتعالى- واحد، وهو طريق الإسلام والتوحيد والسنة، فهذا هو الطريق الذي يوصل إلى الله -سبحانه وتعالى-.

ومن الفوائد: أن سبل الضلال كثيرة، الطرق التي توصل إلى الضلال كثيرة، فطريق الزنا، وطريق شرب الخمر، وطريق الرفض، وطريق الخوارج وغيرها من الطرق، إما معصية وإما بدعة، فطرق الضلال كثيرة وليس طريق واحد، وعلى المسلم أن يحذر من هذه الطرق جميعًا، يحذر من الطرق التي تبعد عن الله -سبحانه وتعالى-، فالمعاصي تُبعد عن الله ﷻ بل إنها قد توصل صاحبها إلى الكفر، الإنسان إذا أسرف على نفسه بالمعاصي قد يصل إلى الكفر، ولذلك يقول العلماء: أن المعاصي بريد الكفر، يعصي الإنسان يعصي يعصي حتى يُظلم القلب، وحتى يسد الران على القلب، فقد يموت على الكفر، ولذلك ذكر العلماء كالقرطبي في التذكرة أن أناسًا أسرفوا على نفسهم بالمعاصي، وذكر رجل كان يشرب الخمر ومدمن للخمر، فعند الموت قيل له: قل لا إله إلا الله، قال: أنا كافرٌ بها.

وذكر أيضًا أن رجلا كان مُشتغلًا بالدنيا، أشغلته الدنيا والأعمال فلما حضره الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، قال: الدار الفلانية في بكذا، والدار الفلانية سعتها كذا، والدار الفلانية منظرها كذا، ومات وهو يُردد هذه الكلمات، ولذلك الإنسان عليه أن يحذر من الطرق التي تُبعد عن الله -سبحانه وتعالى-.

ومن الفوائد: أن الشياطين كثيرون، فالشيطان اسم جنس يدخل فيه إبليس وغيره من الذين اتبعوه من الشياطين، ولذلك قال: «على كل سبيل شيطان يدعو إليه».

المتن

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[هود: ١١٦]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعا: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء»رواه مسلم. ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه: "ومَن الغرباء؟ قال: «النّزاع من القبائل». وفي رواية «الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس». ورواه أحمد من

حديث سعد بن أبي وقاص وفيه: «فطوبى يومئذٍ للغرباء، إذا فسد الناس». وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: «طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي».

وعن أبي أمية قال: "سألت أبا ثعلبة –رضي الله عنه- فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٥]؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا. سألت عنها رسول الله ﷺفقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر؛ للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم»قلنا: منا أم منهم؟ قال: «بل منكم»رواه أبو داود والترمذي.

وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر –رضي الله عنه- ولفظه:

«إن من بعدكم أياما الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين منكم»قيل: يا رسول الله منهم؟ قال: «بل منكم»، ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد أنبأنا أسد قال سفيان ابن عيينة عن أسلم البصري عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان عن النبي ﷺ؟ قال: نعم قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين»قيل: منهم؟ قال: «لا، بل منكم».

وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء الذين يتمسكون بالكتاب حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ».

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

مناسبة هذا الباب لكتاب فضل الإسلام:

أن الإسلام سيعود في أخر الزمان إلى الغربة، بمعنى أن المُتمسك بهذا الدين سيكون في أخر الزمان غريب بين الناس، فناسب أن يأتي المؤلف بهذا الباب ليُبيّن ذلك، وأيضًا يُبيّن أن الإسلام حين ظهر كان في غربة.

وفي هذا الباب: فضل الذين يكونون في غربة في أخر الزمان.

قال: باب ما جاء في غربة الإسلام.

الغربة هو الغريب، والغريب هو الذي يعيش في ديار ليست له، يعني يكون في ديار لغيره، هذا هو الذي يسمى غريب.

قال: غربة الإسلام وفضل الغرباء.

يعني مزايا الغرباء الذين يكونون في أخر الزمان.

ثم ذكر المؤلف –رحمه الله- الآية، قال: وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[هود: ١١٦].

في هذه الآية الكريمة يُبيّن الله –سبحانه وتعالى- أنه لو كان في القرون الماضية مَن كان ينهى عن السوء، ثم بيّن –سبحانه وتعالى- أنه كان هناك مَن ينهى عن ذلك، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا﴾ يعني هلا، ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ يعني الأمم الماضية، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني من قبلكم أنتم يا هذه الأمة، ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ يعني بقية من أناس، ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني ينهون عن الفساد يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم استثنى –سبحانه وتعالى- أنه كان هناك قليل ممَن مضوا من القرون كانوا ينهون عن السوء، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة يُبيّن الله –سبحانه وتعالى- أنه كان كثير من القرون الماضية لا ينهون عن السوء، ففيه حث لهذه الأمة ألا يكونوا مثلهم، فيتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأيضًا يُبيّن –سبحانه وتعالى- أنه كان هناك من القرون الماضية أنه كان أناس ينهون عن السوء.

وفيه أن الله –سبحانه وتعالى- أنجى الذين ينهون عن السوء، ولذلك الذي ينهى عن السوء يُنجيه الله ﷻ إذا وقع العذاب، ففيه إرشاد أن الإنسان عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ليكون مثل هؤلاء القليل.

قال: وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- مرفوعا: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبي للغرباء»رواه مسلم.

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف –رحمه الله-، فيه أن النبي ﷺ قال: «بدأ الإسلام» يعني ظهر، «بدأ الإسلام غريبا» يعني حين ظهر الإسلام وبدأ ينتشر كان غريبًا، وذلك أنه لم يكن يدخل فيه إلا الرجل والرجلان، وكان الناس يتحدثون ما هذا الدين الذي خرج؟، كما قال –سبحانه وتعالى-: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)﴾[النبأ: ١-٢] فكان يسأل بعضهم بعضًا: ما هذا الدين؟ ما هذا القرآن؟ فبدأ الإسلام غريبًا بحيث أنه يدخل فيه الواحد والاثنان، فكان الرجل إذا دخل في الإسلام أصبح كالغريب في ديار غيره، والغريب كما تقدم هو الذي يعيش في بلاد ليست له، فيستنكر البلاد ويستنكرونه أيضًا فهو غريب عنهم.

قال: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود»

السين تدل على التحقق والوقوع، «وسيعود» يعني الإسلام، «غريبا»في أخر الزمان، «كما بدأ»

قال المؤلف –رحمه الله-: وعن أبي أمامة قال: سألت أبا ثعلبة الخُشني كيف تقول في هذه الآية الكريمة.

تقدم أن أبا أمامة ﷺ سأل أبا ثعلبة الخُشني عن معنى آية كريمة من كتاب الله، وهي:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٥]، فبيّن معناها.

ومعنى هذه الآية الكريمة:

أنه لا يضرك ضلال الناس إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، فلا بد أن تأمر أولًا وتنهى ثم إذا رُد قولك بسبب الهوى، وإما بسبب تقديم الدنيا على الآخرة، وإما بسبب الشح وغير ذلك من الأسباب فعليك نفسك، وقد أديت الذي عليك ودع عنك الناس، ولذلك قال: «ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيامًا الصابر فيهن مثل القابض على الجمر». يعني سيكون أخر الزمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر، وذلك أن الجمر يُحرق اليد، إذا قبض عليه الإنسان وشد قبضه زادت الحرارة، وكذلك أخر الزمان سيكون التمسك بالدين و التمسك بسنة النبي ﷺ، وما كان عليه هو وأصحابه ﷺ كالقابض على الجمر، قال –عليه الصلاة والسلام-: «للعامل فيهن» يعني في تلك الأيام، «أجر خمسين» يعني يُضاعف له الأجر خمسين مرة، قال: «أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم» يعني مثل عمل الصحابة فهذا فيه دليل على فضل الذين يكونون أخر الزمان يتمسكون بالدين.

قلنا: منا أم منهم؟ قال: «بل منكم» يعني من الصحابة، وهذا يدلك على فضل الإنسان إذا تمسك بالدين إذا كثر التاركون له، فإذا كثرت المعاصي، وكثرت الذنوب وتمسك هذا الإنسان بالدين فإن هذا يكون أجره مضاعف.

ويُنبه على أن الصحابة لا يكون معادل لهم أحد من الناس بعدهم، بمعنى أن الصحابة أفضل ممَن بعدهم من حيث العموم، والصحابي أفضل ممَن بعده ولكن قد يكون فيمَن بعد الصحابة خصيصة تكون فاضلة، فمثلًا الآن الصحابي صحب النبي ﷺ وآمن بالله، وهاجر في سبيل الله، وجاهد، وعمل الصالحات وغير ذلك، ومن بعد الصحابة قد يكون فيه فضيلة معينة كالذي يصبر على الدين في أخر الزمان فيكون

فيه فضيلة مخصصة، ولا يكون أفضل من الصحابة، يكون عنده فضيلة في هذا الجانب ولكن لا يصل إلى أن يكون أفضل من الصحابة.

قال المؤلف –رحمه الله-: وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر ﷺ ولفظه:«إن من بعدكم أياما الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين منكم» في هذه الرواية أن الإنسان في أخر الزمان إذا صبر على الدين فإنه يكون له أجر عظيم، ولكن لا بد أن يكون على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولذلك قال: «الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه» يعني النبي ﷺ وأصحابه، فلا بد أن يكون متبع للنبي ﷺ وأصحابه حتى يكون له مثل هذا الأجر العظيم، «اليوم له أجر خمسين منكم» يتضاعف له الأجر، ففي هذا فضل وهذا من رحمة الله –سبحانه وتعالى- لأن الإنسان إذا شق عليه العمل فإن الله ﷻ يضاعف له الأجر، الإنسان إذا رأى الناس منهم مَن يقع في المعاصي، ومنهم مَن يقع في البدع، ومنهم مَن يفعل المعاصي ثم تمسك هو بالدين وترك هذه المعاصي، ولم يجد أحد معه يكون سبب في عونه على ما هو عليه فإنه يتضاعف له الأجر، وأيضًا إذا كان يُرمى بأنه متخلف وأنه حصل له كذا وكذا وهو متمسك بالدين الحق، فإن هذا له أجر عظيم، ولذلك يتضاعف له الأجر.

ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد أنبأنا أسد قال سفيان ابن عيينة عن أسلم البصري عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان عن النبي ﷺ؟ قال: نعم. (يعني يرفع للنبي ﷺ) قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم»يعني في وقت النبي ﷺ ووقت الصحابة كان الدين ظاهر، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظاهر، وكان الدين ظاهر، قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل» يعني لم يظهر فيكم الجهل، «وسكرة حب العيش» يعني حب الدنيا والبقاء فيها، «وستحولون عن ذلك» يعني سينقلب هذا ويكثر الجهل ويكثر حب التمسك بالدنيا، فيكون الإنسان يحب العيش ويترك الجهاد في سبيل الله ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتمسك بهذه الدنيا، وأيضًا يظهر الجهل، «فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن

المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك»يعني عند ذلك الوقت، «فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة»هذا أمر مهم، لا بد أن يتمسك بالكتاب والسنة، أما أن يقع في بدع ويريد الأجر فهذا مأزور وليس بمأجور، كمثلًا يكون عنده بدعة ويظن أنه على خير، وهو نسأل الله العافية مأزور وليس بمأجور، ولكن لا بد أن الإنسان متسك بالكتاب والسنة إذا أراد هذا الأجر العظيم، قال:«والسنة له أجر خمسين»، قيل منهم؟ (يعني من الناس أولئك؟) قال: «لا، بل منكم» يعني معشر الصحابة.

ففي هذا الأثر أن المتمسك بالدين في أخر الزمان يكون له أجر عظيم، فلا بد أن يتمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، قال: وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء الذين يتمسكون بالكتاب حين يترك»يعني في أخر الزمان حين يُعرض الناس عنه، ويقبلون على الدنيا، ويقبل بعض الناس على الشهوات، وبعض الناس يقع في البدع، ولا يقبل بالقرآن، قال: «بكتاب الله حيت يترك ويعملون بالسنة حين تطفأ» يعني في أخر الزمان قد يكون أناس يبتدعون، ويبتعدون عن السنة ثم يتمسك هذا الرجل بالسنة، ويكون له أجر عظيم.

ففي هذا الباب الذي ذكره المؤلف –رحمه الله- فيه أن الإنسان في أخر الزمان إذا تمسك بالدين يكون له فضل عظيم، ولكن لا بد أن يتمسك الإنسان بالكتاب والسنة، ولا يبتدع ويظن أنه على خير، ولذلك قد يقع الإنسان في بدع ويظن أنه على خير، وهو نسأل الله العافية على شر، ولذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[الكهف: ١٠٤] يقول علي ﷺ: إنهم الخوارج. يعني يقتلون المسلمين، وينشرون الشر ويظنون أنهم على خير، هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وإن كانت الآية في الكفار لأن الله ﷻ ذكر في أخر الآية ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الكهف: ١٠٤-١٠٥] الآية ولكن قد يشمل المعنى.

ففيه أن الإنسان عليه أن يتمسك بالكتاب والسنة، ولا يضره ولا ينظر إلى الناس؛ لأن الإنسان سيُبعث وحده، ويُحاسب وحده، لن تُسأل عن فلان وفلان، إذا كنت على اهتداء وكنت صالح في نفسك فإنك تنجو بنفسك، ولذلك الله ﷻ قال: ﴿إِنْ

أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾[الإسراء: ٧] فالإنسان إذا أحسن إنما يحسن لنفسه، وإذا اساء فإنما يسيء لنفسه، فعلى الإنسان أن يتمسك بالدين الحق، ولذلك ابن القيم – رحمه الله- في النونية ينصح في مثل هذا المعنى، يقول:

يـــــا أيهـــــا الرجـــــل المريـــــد نجاتـــــه
اســـــمع مقالـــــة ناصـــــح معـــــوان
كـــــن فـــــي أمـــــورك كلهـــا متمســـكًا
بـــــالوحي لا بزخـــــارف الهـــــديان
وانصـــــر كتـــــاب الله والســـــنن التـــــي
جـــــاءت عـــــن المبعـــــوث بـــــالقرآن
واضـــرب بســـيف الـــوحي كـــل معطـــل
ضـــرب المجاهـــد فـــوق كـــل بنـــان
واصـــبر بعزمـــك تحـــت ألويـــة الهـــدى
فـــإن أصـــبت ففـــي رضـــا الـــرحمن

فاصبر، وأمر بالمعروف، وانهى عن المنكر، وتمسك بهذا الدين ولا تنظر إلى أحد، ولذلك الإنسان إذا تمسك بالدين فإن الله –سبحانه وتعالى- يعزه وينصره ويثبته ويثيبه، كما في هذا الحديث أنه يتضاعف له الأجر.

وفيه فضل الله –سبحانه وتعالى- على العبد أنه إذا شق عليه العمل فإن الله ﷻ يضاعف له الأجر، وهذا كثير في الكتاب والسنة.

المتن

باب التحذير من البدع

عن العرباض بن سارية قال: "وعظنا رسول الله ﷺموعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودّع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد. وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ ئ عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن حذيفة قال: "كل عبادة لا يتعبده أصحاب محمد فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا. فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم". رواه أبو داود.

وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج. فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! فهؤلاء صحابة نبيكم ﷺمتوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه. إن رسول الله ﷺحدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج".

والله المستعان وعليه التكلان وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشرح

قال المؤلف –رحمه الله-: باب التحذير من البدع



مناسبة هذا الباب لكتاب فضل الإسلام:

أن من أسباب ما يُخرج الإنسان من الإسلام البدع، البدع قد تُخرج المرء من الإسلام، فالبدعة ما تزال بالإنسان شيئًا فشيئًا حتى تُخرجه من الإسلام إلا أن يمنَّ الله ﷻ عليه بالرجوع أو التوقف قبل الخروج من الإسلام، ولذلك يقول العلماء أن من أسباب خروج الإنسان من الإسلام البدع، لذلك الجهمية لما ابتدعوا ما زالت بهم البدعة حتى خرجوا من الإسلام، وكفرهم أكثر من خمسمائة عالم، كما ذكر العلماء بسبب البدعة، ولذلك يقول شيخ الإسلام: أن البدعة تبدأ شبر، ثم ذراع، ثم ميل، ثم أميال. فالبدعة خطيرة على المرء، ولذلك المؤلف –رحمه الله- أكثر من ذكر البدع في هذا الكتاب.

و(التحذير) يعني أن يحذر الإنسان بحيث يكون متخذ الأُخذة من هذا الشيء أن يقع فيه، فيحذر من البدع، قال: (باب التحذير) يعني أن يأخذ الإنسان حذره من البدع، قال: (من البدع) أي: أي بدعة سواء كانت هذه البدعة كبيرة أم صغيرة، فيحذر من جميع البدع، والحذر يكون بسؤال الله –سبحانه وتعالى-، كأن يقول مثلًا (اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه)، وأيضًا يكون بالعلم النافع؛ لأن البدع من أسبابها: الجهل كما ذكر العلماء، أن من أسباب البدع الجهل؛ لأن الإنسان يبتدع يريد التعبد لله –سبحانه وتعالى- بسبب الجهل، فيحذر الإنسان من البدع، وأيضًا يحذر من أقوال أهل البدع فيأخذ بالأسباب، فإذا أخذ بها فإن الله –سبحانه وتعالى- كريم.

قال المؤلف –رحمه الله-: عن العرباض بن سارية قال: "وعظنا.

(يعني ذكرنا، والموعظة هي التذكير بما يُرقق القلوب).

"وعظنا رسول الله ﷺموعظة بليغة.

(بليغة يعني تصل إلى القلب، بحيث أن النبي ﷺ أبلغ فيها، فاجتهد –عليه الصلاة والسلام- في هذه الوصية).

وجلت منها القلوب.

(يعني خافت وارتعدت القلوب منها).

منها القلوب وذرفت منها العيون.

(يعني سالت منها العيون بسبب هذه الموعظة، وذلك أن الإنسان إذا خاف سالت عينه، وكذلك كان الصحابة –رضي الله عنهم- يتأثرون عند المواعظ).

وذرفت منها العيون. قلنا.

(يعني بعد هذه الموعظة).

يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع.

(يعني تُشبه موعظة الذي سيرحل من الدنيا، يقولون: هذه يا رسول الله موعظة بليغة).

مودع، فأوصنا.

(يعني اعهد إلينا يا رسول الله بأمرٍ نلتزم به).

قال: «أوصيكم»يعني أعهد إليكم، «بتقوى الله» يعني هذه وصية من النبي ﷺ، وهذه الوصية هي وصية الله –سبحانه وتعالى- للأولين والآخرين، كما قال –سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء: ١٣١]، وأيضًا وصية النبي ﷺ، فالتقوى هي من أعظم ما يوصى به، من أعظم الوصايا أن يتقي الله، والتقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه هذه هي التقوى، وقيل: أن التقوى أن تعبد الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخشى عقاب الله، وقال بعضهم:

خَلِّ الذُنوبَ صَغيرَها
وَكَبيرَها ذاكَ التُقى

وكُــــــن كمـــــــاشٍ فَـــــــوقَ أر
ضِ الشَــــوكِ يَحــــذُرُ مـــا يَـــرى
لا تَحقِـــــــــرَنَّ صَـــــــغيرَةً
إنَّ الجِبــــــالَ مِـــــنَ الحَصـــــى

يقول: احذر من صغار الذنوب فإنها تتجمع عليك حتى تُهلكك، ويقول: أن التقى كأنك تمشى في أرض شوك، فإذا كان الإنسان يمشي في أرض شوك كيف يكون مشيه؟ يكون حذر، كذلك التقى تكون حذر من المعاصي والذنوب، ولا تترك طاعة فيكون المرء ملتزم بالتقى، فتحذر من عقاب الله ﷻ وترجو ثواب الله ﷻ بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

قال: «بتقوى الله، والسمع والطاعة» السمع يعني يسمع لأولات الأمور، والطاعة يعني الطاعة لهم، وهذه وصية مهمة جدًا، كثرة النصوص في الأمر بالسمع والطاعة لأولات الأمر؛ لأن في السمع والطاعة أولًا: امتثال لأمر الله -سبحانه وتعالى-، الله ﷻ أمر بالسمع والطاعة لمَن ولاه الله -سبحانه وتعالى-، وأيضًا طاعة للرسول ﷺ، فأنت إذا أطعت ولي الأمر في غير معصية الله فإنك تطيع النبي ﷺ، وأيضًا لأن طاعة أولات الأمر من أسباب قوام هذه الأمة، لأن الأمة إذا حصل بينها قتال تضعف فيتسلط عليها الأعداء، ولذلك جاء في حديث ثوبان الطويل: في ما معنى الحديث: أنه يتسلط عليهم الأعداء، فإذا رأى الأعداء الراعي والرعية مجتمعون، وكلمتهم واحدة فإنه يهابهم، أما إذا رآهم قد تشتتوا، تقاتلوا فيما بينهم يتسلط عليهم، يرى أنهم ضعفاء فيتسلط عليهم، وأيضًا لأن السمع والطاعة من أسباب أمن الإنسان على نفسه، فالإنسان إذا كان الأمن منتشر يأمن على نفسه، يخرج في الديار وفي البراري، ويأكل ويشرب وهو مطمئن، وأيضًا يأمن على حرمته فيأمن على نساءه فلا يخاف عليهنَّ، وأيضًا يأمن على أولاده فلا يخاف أن يُقتلوا أو يُسرقوا أو نحو ذلك، وأيضًا يأمن على ماله، إذا كان فيه أمن فالناس يخشون أن يقعوا في مالك فيُقام عليهم الحد، أما إذا كان لا أمن فإن المال قد يُذهب به؛ لأن الذي يأخذ المال يعرف في نفسه أن ليس هناك سلطة حتى تُقيم عليه الحد فيذهب بالمال، وأيضًا لأن اجتماع الكلمة من أسباب إقامة الدين، فالإنسان الذي يتعبد

لله ﷻ وهو أمن يقوم بأعمال دينه وهو في طمأنينة، إذا كان الأمن مختل كيف يُصلي الإنسان، كيف يذهب إلى المسجد والطريق أمامه قتل ومقاتلة، كيف يذهب؟ وأيضًا كيف يصوم الإنسان، كيف يؤدي فريضة الصوم والناس قاتل ومقتول؟ وأيضًا كيف يحج الإنسان، هل من الممكن أن يحج الإنسان والطريق كله قتل ومقاتلة؟ ما يمكن، لذلك هذا من أهم ما يكون، وقد جاء في صحيح مسلم كثير من الحديث في السمع والطاعة لولاة الأمر، ولكن هذا السمع والطاعة ينقسم إلى أقسامٍ ثلاثة:

القسم الأول: أن يأمر ولي الأمر فيما فيه طاعة لله ورسوله؛ فهذا يجب السمع والطاعة، كما لو قال الإمام مثلًا: أدوا صلاة الجماعة، لا تتركوا صلاة الجماعة، فهنا يجب السمع والطاعة؛ لأن هذا قد أمر الله –سبحانه وتعالى- ورسوله به.

الثاني: أن يأمر ولي الأمر بأمرٍ مباح؛ في الشرع مباح وفيه مصلحة للناس، كأن يأمربما فيه مصالح الناس، مثلًا أمر بالالتزام بإشارات المرور، أو ربط حزام الأمان، فهنا يجب السمع والطاعة وجوبًا؛ لأن الله –سبحانه وتعالى- أمر بطاعة ولي الأمر، ولأن النبي ﷺ أمر بطاعة ولي الأمر.

الثالث: أن يأمر بمعصية؛ إذا أمر ولي الأمر بمصية كأن يقول مثلًا يا فلان اشرب الخمر، أو افعل معصية كذا، فهنا لا يجوز السمع والطاعة له، لا تسمع ولا تطيع في هذه المعصية؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنما الطاعة في المعروف»، وقال – عليه الصلاة والسلام-: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ولأنه إنما أطعناهم طاعةً لله ورسوله، فإذا أمروا بمعصية الله ورسوله فلا سمع ولا طاعة، ولكن مع هذا لا يُخرج عليه ولا يجوز الخروج عليه حتى ولو أمر بمعصية، لو قال لك مثلًا اشرب الخمر فلا تطيعه ولكن لا يجوز لك أن تنابذه، لا تسمع ولا تطيع ولا تنابذ، ويبقى له السمع والطاعة فيما عدا ذلك، ولكن في هذه المعصية لا تسمع ولا تطيع.

فالسمع والطاعة إنما هو في المعروف، فإذا أُمر الإنسان بمعصية فلا سمع ولا طاعة، لكل الناس ليس لولي الأمر خاصة بل إذا أمر الوالد ولده بمعصية فلا يسمع ولا يطيع له، وإذا أمر الرجل زوجته بمعصية فلا تسمع ولا تطيع له، وإذا أمر ولي الأمر الرعية بمعصية فلا يسمعوا ولا يطيعوا له، لكل الناس لأن النبي ﷺ قال: «لا

طاعة لمخلوق»أي مخلوق«في معصية الخالق»، الطاعة مقيدة فيما هو من طاعة الله –سبحانه وتعالى- أو فيما هو مباح وللناس فيه مصلحة، فالمقصود أن هذه وصية مهمة ولذلك تجد أن هذا الأصل قد ذكره العلماء في كتب العقائد، ذكر شيخ الإسلام في الواسطية، ذكره الطحاوي في عقيدته، ذكره السفاريني وغيرهم، لأن هذا الأصل إذا ضُيّع فإنه من أسباب ضياع العقيدة، فيحصل قتال ويحصل أن الإنسان لا يتعبد، ولا يتعلم العلم ولا غير ذلك، فلذلك هذا الأصل مهم جدًا، وللذلك يقول شيخ الإسلام –رحمه الله-: ما عُرِف في التاريخ أن أمة خرجوا على إمامهم يريدون الإصلاح، إلا وكان من الفساد ما هو أعظم من الإصلاح الذي أرادوه. والمعنى أنه قد يكون ولي الأمر عنده ظلم أو يكون عنده فساد، فإذا خرجوا عليه كان الأمر أعظم والذنب أكبر، فيحصل سرقة وقتل ونهب وذنوب ومعاصي أشد من الذي كان قبل، لذلك الإنسان عليه أن يكون عاقل يُقدر الأمور، فهذا من الأصول المهمة أن يسمع الإنسان ويُطيع في غير معصية الله ﷻ، والإنسان مهما كان لا بد أن يكون عنده قصور، النبي ﷺ يقول: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» فعلى الإنسان إن راى قصور أن يُناصح ويكون النصح بالطريقة المشروعة، إذا أراد أن يناصح لولي الأمر يدعو له، من النصح لولي الأمر أن تدعو له، لذلك هذا من الأمور المهمة أن يُكثر الإنسان من الدعاء لولاة الأمر (اللهم اهدهم، اللهم وفقهم، اللهم سددهم، اللهم اغفر لهم)، ولذلك يقول البربهاري: إذا رأيت الرجل يدعو لأولات الأمر فاعرف أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو عليه فاعرف أنه صاحب بدعة.

أيضًا من المناصحة أن تسمع وتطيع في غير معصية، حتى لو كان الأمير مُقصر أو الولي مُقصر تسمع وتطيع في غير معصية، أيضًا إذا كان لك قدرة وتصل إليهم فتدعوهم سرًا بنية الإصلاح لا نية القدح، ولذلك إذا أراد الإنسان أن ينصح لولي الأمر فعاتبه بطريقة حسنة وقال: إني لك من الناصحين وفي قلبه أنه يريد النصح لا يريد القدح، لا يقول أنت فعلت كذا وحصل منك كذا، يريد أن يقدح.

وأيضًا يُقدر السلطان؛ لأن النبي ﷺ قال: «أنزلوا الناس منازلهم» والسلطان ذو سلطة، فتأتيه بالطريقة الحسنة.

وأيضًا من النصح لهم أن تجمع الناس عليهم، فتقول: اسمعوا وأطيعوا واحذروا من الفرقة، ولا تنابذوا ولاة أمركم.

وأيضًا من النصح لهم ألا تقدح فيهم، لا تقل فعل السلطان كذا، وحصل منه كذا، ولو كان صحيحًا لا تقدح فيه؛ لأن هذا لا يفيد، إذا قدحت لا يفيد، لا يُصلح، فالمقصود أن هذا الأصل مهم جدًا، ولذلك أوصى به النبي ﷺ.

قال: «والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد» يعني وإن حصل أن تأمر فأصبح أمير، والهمزة تدل على الطلب بحيث أن هذا العبد الحبشي تأمر قهر وأنتم لم ترضوا بذلك، يعني قهركم حتى أصبح أمير وإن تأمر عليكم عبد» وجاء في بعض الروايات: عبد حبشي، فإذا كان الأمير ولو كان عبد حبشي وتأمر فلا بد أن نسمع ونطيع له في غير معصية الله ﷻ.

قال:«وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا» يعني مَن تطول به الحياة فسيرى اختلافًا كثيرًا، وكذلك حصل، فحصل من الاختلاف الكثير ما أخبر به النبي ﷺ، فحصل ما أخبر به النبي ﷺ، وهذا فيه من دلاأل نبوة النبي ﷺ.

قال: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي» عليكم يعني الزموا، سنتي يعني طريقتي وهدي، وما كنت عليه، «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» الخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ علمًا وعملًا، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فقد خلفوا النبي ﷺ بالعلم والعمل، وهذا فيه دليل على أن ما سنه الخلفاء الراشدون أنه سنة يُعمل بها.

قال: «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» الراشدين جمع راشد؛ وهو مَن عرف الحق وعمل به، المهديين جمع مهدي؛ وهو الذي هداه الله –سبحانه وتعالى- لطريق الطاعة، وأرشده الله ﷻ علمًا وعملًا ووفقه.

قال: «من بعدي؛ عضوا عليها بالنواجذ» يعني بالأضراس، وهذا كناية عن شدة التمسك.

قال: «وإياكم» يعني احذروا، «ومحدثات الأمور» المحدثات جمع محدثة، والحدث هو الاختراع على غير مثالٍ سابق، وهذا فيه إشارة إلى الحذر من البدع،

في هذا الحديث حذر النبي ﷺ من البدع، والبدع كثيرة كما سيذكر المؤلف ـرحمه الله- نوع منها.

قال: «ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» كل من صيغ العموم، يقول أهل الأصول أنها من صيغ العموم بمادتها، يعني تدل على العموم من أصلها، وإن كان في بعض المواضع لا تدل على ذلك، قال: «فإن كل بدعة ضلالة» في قول النبي ﷺ دليل على أن كل بدعة ضلالة، وليس هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة لا يوجد، وأما ما جاء عن بعض العلماء ـرحمهم الله- أن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة، هذا التقسيم لا يصح، ولذلك أبطل هذا التقسيم شيخ الإسلام والشاطبي والشوكاني، قالوا أن هذا التقسيم لا يصح؛ لأن النبي ﷺ قال: «كل بدعة ضلالة» ما ترك النبي ﷺ بدعة حسنة ولا بدعة سيئة، فكل البدع سيئة، لأن البدعه هو أن يخترع الإنسان شيء لم يفعله النبي ﷺ، فكيف يكون حسن؟ أما قول عمر ـرضي الله عنه-: نعمة البدعة هذه. كما جاء في صحيح البخاري، هذا القول من عمر ـرضي الله عنه- إنما أراد البدعة اللغوية، بدعة في اللغة وليس بدعة في الشرع، أما البدعة في الشرع فكلها ضلال، وأما البدع في اللغة فالأمر واسع فيها، ويدل على أن عمر ما أراد البدعة الشرعية أن صلاة التراويح كان قد صلاها النبي ﷺ ليلة ثم التي تليها ثم التي تليها ثم الرابعة أو الثالثة لم يخرج، وقال: «إني خشيت أن تُفرض عليكم»، وأيضًا كان النبي ﷺ يحث على القيام في رمضان، ولم يأمر به بعزيمة، وأيضًا قال: «مَن قام مع الإمام..» فدل على أن صلاة التراويح مشروعة، ولكن ترك النبي ﷺ الاجتماع لها خشية أن تُفرض، فلما زال هذا الشيء الذي خاف منه النبي ﷺ لأن الشرع قد ، أكمله الله ـسبحانه وتعالى- جمعهم عمر ـرضي الله عنه-، فالمقصود أن كل بدعة ضلالة.

قال المؤلف ـرحمه الله-: قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

كيف يكون حسن صحيح؟ لأن الحديث إما أن يكون حسن، وإما أن يكون صحيح، قال العلماء في قول الترمذي ـرحمه الله- هنا: (حسن) يعني عند قوم، (صحيح) عند أخرون، أو حسن عند الترمذي، صحيح عنده أيضًا، يعني قال حسن

وكأنه رأى أنه صحيح فقال: حسن صحيح، وأيضًا قد يكون الحديث له طريقان، فطريق حسن فقال: حسن. يعني هذا الطريق، والطريق الآخر صحيح قال: صحيح .

قال المؤلف –رحمه الله-: وعن حذيفة قال

يعني هذا موقوف على حذيفة –رضي الله عنه-، حذيفة كان من الذين يسالون النبي ﷺ عن الشر مخافة الوقوع فيه، ولذلك جاء في صحيح البخاري أنه كان يسأل النبي ﷺ عن الشر مخافة أن يقع فيه، وكان الصحابة يسألون عن الفتن، لأنه كان يسأل النبي ﷺ عن ذلك.

قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدوها.

يقول حذيفة: أي عبادة لم يفعلها الصحابة أصحاب محمد ﷺ فلا تفعلها؛ لأنها لو كانت خير لسبقوك إليها، ولذلك الآن التعبد بالاحتفال بالمولد النبوي، هل هو عبادة؟ الجواب: لا، لو كان عبادة لتعبدها أصحاب محمد ﷺ، فلما لم يتعبدوها دل على أنها ليست عبادة، ولذلك بدعة، قال حذيفة: فلا تتعبدوها. فلا تفعل معهم.

قال: فإن الأول لم يدع للآخر مقالا.

الأول يعني الصحابة، لم يدع للآخر وهو أخر هذه الأمة، مقالا يعني الصحابة قد تعبدوا لله ﷻ بالعبادات المشروعة، فإذا رأيت عبادة رأيت أنها عبادة والصحابة لم يفعلوها فاعرف أنها ليست بعبادة، ولذلك لم يتركوا للمتأخرين مقالا.

قال: فاتقوا الله يا معشر القراء.

يعني يا مَن تقرأون القرآن، والقراء في عرف السلف هم الذين يفهمون القرآن ويعلمونه، يعني العلماء.

(فاتقوا الله يا معشر القراء) يعني يا معشر العلماء.

وخذوا طريق من كان قبلكم.

يعني من الصحابة، فاسلكوا ما سلكوا، واحذروا من البدع.

قال: رواه أبو داود.

قال: وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة.

يعني قبل صلاة الفجر، يُحدث عن أبيه أنهم كانوا جلوسًا عند باب ابن مسعود، يعني من باب الانتظار، كانوا ينتظرونه ليخرج، فلم يريدوا أن يطرقوا عليه الباب فانتظروا حتى يخرج.

قال: فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد.

يعني كانت هذه عادة عندهم، ليسألونه ونحو ذلك، ويأخذون من علمه.

قال:فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد. فجاءنا أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه- فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟

يعني يسأل الجلوس عند باب ابن مسعود هل خرج ابن مسعود أم لم يخرج؟.

قلنا: لا. فجلس معنا.

يعني جلس أيضًا معهم –رضي الله عنه- انتظارًا لابن مسعود.

قال: فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن.

يعني كناه.

إني رأيت في المسجد آنفا.

يعني سابقًا في وقتٍ قريب.

أمرا أنكرته.

يعني أنكرته بقلبي؛ لأنه ما تكلم.

قال: ولم أر والحمد لله إلا خيرا.

لأن التسبيح خير، ولكن الطريقة التي كانوا يفعلونها أوجست في قلبه شيء.

قال: فما هو؟

يعني سأل ابن مسعود –رضي الله عنه-: ما هو الذي يعني.

فقال: إن عشت فستراه.

يعني إذا أطال الله ﷻ عمرك فسترى هذا الشيء.

قال: رأيت في المسجد قوما حِلقا.

يعني مُتحلقين، وهو أن يتقابلوا بوجوههم، بحيث يكونون كالحلقة الدائرة.

جلوسا ينتظرون الصلاة.

يعني ينتظرون أي صلاة مثلًا الفجر أو الظهر أو نحو ذلك.

في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى.

يعني هذا الرجل جالس في وسط الحلقة، وفي يده حصى يعني جمع في يده حصى.

فيقول: كبروا مائة.

يعني يقذف الحصاة ويقول: كبروا مائة.

فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة.

فأيضًا يرمي بحصاة ويقول: هللوا مائة.

فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.



فيقول أبو موسى -رضي الله عنه- إن هذا الذي أنكرته، كيف يحدد لهم مائة ويرمي بالحصى ويقول افعلوا هكذا؟ هذا الذي أنكرته، والخير هو التسبيح والتهليل.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك.

هذا فيه أن الإنسان لا ينكر إلا ما تيقن من أنه منكر، ولا تنكر شيء إلا وأن تتيقن أنه منكر، أما إذا أشكل عليك فلا تنكر.

قال:ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم.

ليحسبوا سيئاتهم.

وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

يعني تضمن لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يضيع عمل عامل أبدًا.

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق.

يعني أتى إليهم ابن مسعود -رضي الله عنه-.

فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

يقول ابن مسعود -رضي الله عنه- ما هذا الشيء الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الله حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

يعني نقذف بهذه الحصى ونكبر.

قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء.ويحكم.

هذه كلمة توجع ونحو ذلك.

ويحكم يا أمة محمد.

يعني يا أتباع محمد.

ما أسرع هلكتكم!

يعني ما أرسع وقوعكم في الهلاك.

فهؤلاء صحابة نبيكم ﷺ.

يعني ها هم متواجدون.

متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل.

هذا كناية عن أن النبي ﷺ كان قريب، كيف تهلكون وهو للتو مات –عليه الصلاة والسلام-، ثيابه ما بليت.

وآنيته لم تكسر.

أيضًا يدل على أن موت النبي ﷺ قريب، فكيف تبتدعون والنبي ﷺ قريب الممات.

والذي نفسي بيده.

يُقسم ابن مسعود –رضي الله عنه-.

إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد.

يعني إنكم على دين هو أهدى من دين محمد –عليه الصلاة والسلام-.

أو (يعني أنه لا بد أن يحصل هذا أو هذا) مفتتحو باب ضلالة؟!

يعني أنكم قد فتحتم باب بدعة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

يعني والله ما أردنا بفعلنا هذا إلا الخير، ما نريد الشر ولا نريد البدع، ولا نريد الضلال وهكذا حال الإنسان الذي يقع في بدعة، يريد الخير ولكنه على ضلال.

قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه.

كم من رجل يريد الخير ولكنه مبتدع، وكم من رجل يتحرى الخير ولكنه وقع في الخطأ، يعني ليس المراد أن الإنسان يُحسن النية لله ﷻ، ولكن المراد أنه مع إحسانه النية أن ينظر هل عمله على ما كان عليه فعل النبي ﷺ أو أنه مخالف لفعل النبي ﷺ.

وهذا فيه أن العمل لا يُقبل إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون فيه مخلص لله.

الشرط الثاني: أن يكون فيه متبع لشرع الله غير مبتدع.

ولذلك إذا فعل الإنسان بدعة فإنها مردودة عليه، ولو كان العمل كثير، وكان مخلص فيه ولكنه ابتدع، فالعمل باطل لا يصح، ولذلك قال ابن مسعود –رضي الله عنه-: وكم من مريد للخير لا يصيبه.

إن رسول الله ﷺحدثنا أن قوما يقرؤون القرآن (يعني يتلون القرآن) لا يجاوز تراقيهم.

يعني لم يخلص إلى قلوبهم، بحيث أن الإيمان لم يقع في قلوبهم، وإنما يقرأون ويتعبدون في الظاهر.

وأيم الله.

(يُقسّم، وهي من حروف القسم).

وأيم الله لعل أكثرهم منكم.

يعني توقع ابن مسعود –رضي الله عنه- أن كثيرًا من هؤلاء الذين يقرأون القرآن أنهم من هؤلاء، وهذا فيه الفراسة، والفراسة هو أن يظن الإنسان الشيء يقع في قلبه يوقعه الله ﷻ في قلبه ويكون صواب، هذا يسمى فراسة فيتفرس الإنسان في الشخص، ويتوقع أنه سيقع في كذا فيقع كذلك، وهذا لمَن كان عنده إيمان وتقى، ويكون هذا الظن مبني على قرائن، ولذلك تفرس فيهم ابن مسعود –رضي الله عنه-.

قال: لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم.

يعني أعرض عنهم بظهره –رضي الله عنه- وذهب.

فقال عمرو بن سلمة.

هو ربيب النبي ﷺ.

قال: رأينا عامة أولئك (يعني أكثر أولئك) الحلق يطاعنوننا يوم النهروان (يعني دخلوا مع الخوارج) مع الخوارج.

وهذا فيه أن الإنسان عليه أن يحذر من البدع؛ لأن البدعة تجر بدعة وأخرى.

قال: والله المستعان وعليه التكلان وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله (سيدنا) السيد مَن له السؤدد، وبعض العلماء يقول لا بأس أن يقول سيدنا محمد ﷺ، لأنه –عليه الصلاة والسلام- سيد ولد آدم.

ثم ختم المؤلف –رحمه الله- هذه الرسالة المباركة نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم للعم النافع، وأن يعيننا على طاعته، وأن يوفتنا لما يحبه ويرضى، وأن يثبتنا على الإسلام.

والمؤلف –رحمه الله- في هذا الكتاب أكثر من ذكر البدع؛ لأن البدع من أخطر ما يخدش في الإسلام، فأخطر ما يكون على الإنسان الوقوع في البدع، ولذلك الرافضة وقعوا في الصحابة بالسب واللعن والشتم، وأيضًا قالوا القرآن محرف،

وغير ذلك من البدع بسبب البدعة، وأيضًا الخوارج قتلوا المسلمين، واستحلوا الدماء بسبب البدعة، وأيضًا الجهمية نفوا صفات الله ﷻ، وقال بعضهم: ليس على العرش، ونفوا صفات الله ﷻ، وقالوا لا يأتي ولا ينزل وليس يرحم ولا يسمع بسبب البدعة، ولذلك المؤلف –رحمه الله- أكثر في هذا الكتاب من التحذير من البدع، وهذا حري بالإنسان أن يحذر من البدع، وأن يكون على حذر منها.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد